
روائع المسرح
العالمى
١
مختارات
كتابى
يصدرها
حلمى مراد

مختارات كتابى

روائع المسرح العالمى

* اوديب الملك : سوفوكل
* سلاح المرأة : أريستوفان
* ترويض النمرة : شكسبير
* المنافق : موليير
* فاوست : جوته
* وليام تل : شيللر
* نزاهة الحكم : جوجول
* يوميات محتال : أوستروفسكى
* سوء تفاهم : كامى
* موت قومسيونجى : ميللر

الناشـــر

كتـابى

٧ شارع قناة السويس ـ مصر الجديدة

و ١٨ شارع العباسيين ـ مصر الجديدة ـ ت ٦٧٥١٢٦

تم الصف التصويرى والتجهيز فى **المطبعـة العالميـة**

١٦ ، ١٧ شارع ضريح سعد بالقاهرة تليفون ٢٩٣١٧ تلكس ٩٣٧٩٧

عزيزى القارئ ..

لعلك تذكر أن كل عدد من أعداد «كتابى» التى صدرت ـ وعددها مائة وخمسة أعداد ـ كان يضم مجموعة منوعة من الموضوعات الملخصة ، بينها : المسرحية ، والمحاكمة ، وكتاب علم النفس ، وكتاب التراث من «كنوز الكتب القديمة» .. إلخ .. إلخ .

ولقد طالما توالت رسائلك إلى ، تطالبنى بأن أجمع لك كل نوعية من تلك المواد فى كتب مستقلة ، على حدة .. بحيث يستطيع القارئ المولع بالمسرحيات مثلاً أن يجدها مجتمعة معًا فى كتاب واحد ، أو عدة كتب يضم كل منها نحو عشر مسرحيات ، أو سبعا ، على الأقل .. وفقًا لطول كل منها أو قصرها .. بدلاً من أن يقرأها متفرقة فى عشرات من الاعداد السابقة .. وكذلك الحال بالنسبة للمولع بغير المسرحيات من مواد وأبواب «كتابى» ، فيجد كتب علم النفس مثلاً مجتمعة معًا فى كتاب ثان ، وقصص التاريخ وأشهر المحاكمات فى كتاب ثالث ، والروايات الملخصة فى كتاب رابع ، وكنوز الكتب القديمة (من أمثال «الياذة» هوميروس وجمهورية أفلاطون) فى كتاب خامس .. ثم مجموعة ثانية من المسرحيات .. فمجموعة ثانية من كتب علم النفس ، فمجموعة ثانية من كنوز الكتب القديمة وهكذا .. إلخ .

واستجابة لطلبك هذا ، أقدم لك فى الكتاب الذى بين يديك ،

العدد الأول من «مختارات كتابى» التى أزمع بعون الله أن أقدم لك أعدادًا أخرى منها بالتناوب . إلى جانب الأعداد الحديثة من «كتابى» و «مطبوعات كتابى» ، كما تجد فى البيان التفصيلى عن خطة استئناف هذه السلاسل فى مكان آخر من هذا الكتاب ..

وإذا كانت استجابتى لطلبك هذا قد تأخرت إلى الآن ، فما ذلك إلا لأن السلسلتين الأصليتين ـ «كتابى» و «مطبوعات كتابى» ـ كانتا قد توقفتا أو تراخى صدورهما بانتظام ، فترة طويلة ، لظروف لا دخل لى ـ ولا لك ـ فيها ، خضوعًا لعقبات ونزولاً على رغبات غفر الله لأصحابهاوالمتسببين فيها من المتسلطين ذوى العقد والأحقاد !.. فلما أتاح الله لى ـ ولك ـ فرصة تذليل تلك العقبات . وازاحة أصحابها عن طريق . أمكن أن تعود السلسلتان الأصليتان إلى الصدور كسابق العهد بهما . بل وأقوى ، وأن تنبثق عنهما سلاسل أخرى شقيقة أرجو أن تحقق لى ولك شتى «أحلامنا الثقافية» التى عشت واياك نهدهدها معًا طوال السنوات الماضية ، منذ صدر العدد الأول من كتابى فى أول مارس ١٩٥٢ .

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

* درة الأدب الإغريـقى

أوديب المـلك

سـوفوكل

OEDIPUS THE KING

By

SOPHOCLES

المؤلف

(٤٩٥ ـ ٤٠٥ قبل الميلاد)

☐ يعتبر «سوفوكل» عميد مؤلفي المسرح الإغريقي قاطبة .. وقد كتب أكثر من مائة مأساة تمثيلية ، فقدت غالبيتها فلم يبق من هذا التراث الخالد غير سبع مآس فقط ، هي حسب تاريخ تأليفها : أنتيجون ، اليكترا ، تراخينيا ، أوديب الملك ، أجاكس ، فيلوكتيتس ، أوديب في كولوناس .. ولو اقتصر إنتاج سوفوكل على هذه المسرحيات السبع لكفت لاعتبار الدور الذى لعبه فى تطور المأساة الإغريقية دورا خالدا فى تاريخ الأدب !

ويمتاز سوفوكل بروعة البناء الفني لمسرحياته ، و «إنسانية» موضوعاته وأسلوبه ، على النقيض من زميله ومعاصره «اسخيلوس» الذى نبغ فى تمجيد «البطولة» بصفة خاصة .. بل ان سوفوكل يتفوق حتى على ثالثهما «يوريبيدس» بسعة أفق الحياة والعواطف التى يصورها فى تمثيلياته ، وعمق تحليله للطبيعة البشرية .. وكفاه فخرا أنه خلق شخصية «أوديب» الخالدة ، شخصية الإنسان الذى تغلب عاطفيته عدله ، وبرغم ذلك نستشف النبل وراء دوافعه وحوافزه !.. ويعتبر أكثر النقاد مسرحية أوديب أعظم مسرحيات سوفوكل جميعا ، وقد أشار إليها «أرسطو» مرارا فى سفره الذى سماه «فن نظم الشعر» . وأغلب الظن أن سوفوكل كتبها لتمثل فى إحدى المسابقات المسرحية الدورية التى كانت تقام فى أثينا فى ذلك العصر ، والمرجح أنها مثلت لأول مرة سنة ٤٢٥ ق . م .

وقد ولد سوفوكل فى «كولوناس» ، بالقرب من أثينا ،.. عام ٤٩٥ قبل الميلاد.. وعاش فى العاصمة الإغريقية الزاهرة حياة طويلة (بلغت التسعين

عاما) ، عاصرت الحروب الفارسية .. وعصر بركليس .. وفترة من الصراع ضد اسبرطة !

شخصيات الرواية

أوديب : ملك مدينة «طيبة» اليونانية (وهى غير «طيبة» المصرية أى «الأقصر»)	Oedipus
جوكاستا : زوجة أوديب	Jocasta
كريون : شقيق جوكاستا	Creon
تيريسياس : عراف أعمى	Tiresias
أنتيجون: } ابنتا أوديب	Antigone
ايسمين: } ابنتا أوديب	Ismene
رسـولان	Two Messengers
راع	Shepherd

تمهيد للرواية : أسطورة أوديب

قبل أن يجلس أوديب على عرش «طيبة» كان يحكمها ملك يدعى «لايوس» . وكانت الملكة «جوكاستا» ـ زوجة الملك الجديد ـ زوجة للملك السابق فى حياته ، فلما رزقا ابنا ذكرا انزعج الوالدان أيما انزعاج ، فقد تلقى الأب وحيا من معبد دلف المقدس انطوى على نبوءة له بأنه سوف يقتل بيد ابنه الذكر الذى سيرزق به فى المستقبل ! .. فرأى الملك أن يتخلص من هذا الخطر بالتخلص من ابنه الوليد ، فأمر بأن تثقب قدما الطفل وتقيدا بحربة مسنونة إلى صخرة على سفح جبل «كيثايرون» المهجور .. حتى يلقى الوليد حتفه !

لكن الأقدار تدخلت لإنقاذ الطفل البرىء فقد أشفق عليه رسول الملك الذى كلف بإهلاكه ، فتركه فى ظل كهف ظليل . لينجو على الأقل من وزر قتله .. وصادف أن مر بالمكان راع كان يبحث عن ماشيته الضالة ، فعثر بالطفل .. وحمله إلى بلاط ملك كورينثة المدعو «بوليبوس» وزوجته «ميروب» . فكفلاه وتبنياه ..

وشب الطفل «أوديب» فى بلاط ملك كورينثة حتى بلغ مبلغ الرجال .. وذات ليلة . فى إحدى الحفلات . لعبت الخمر برأس أحد السمار فأبدى تشككه فى نسب أوديب ! الأمر الذى دفع هذا إلى المبادرة باستشارة الآلهة بشأن نجمه .. فتنبأوا له بأنه سوف يذبح أباه ويتزوج من أمه !.. وإذ أزعجت النبوءة أوديب . بادر من فوره إلى الفرار من بلاط «والديه» ملكى كورينثة . رغم أنه لم يعرف له فى الدنيا أهلا سواهما ، إشفاقا عليهما وعلى نفسه من المصير الرهيب الذى تنبأت له به الآلهة !

لغـز «أبو الهول» !

□ فى تلك الأثناء ظهر فى طيبة الوحش «أبوالهول» . مروعا أهلها بلغزه العجيب المستعصى الذى أخذ يلقيه على كل من يصادفه . فإذا عجز عن حله قتله لساعته !.. وكان اللغز المطلوب حله هو هذا : «ما هو المخلوق الذى يمشى فى الصباح على أربع ، وفى الظهر على رجلين ، ووقت الغروب على ثلاثة أرجل !»

ولم يستطع أحد من الذين صادفهم الوحش ووجه إليهم اللغز أن يهتدى إلى حله ، فمضى «أبوالهول» يمعن فى أهل طيبة ذبحا وقتلا .. حتى ضج سكان المدينة فزعا من هذه الكارثة التى هبطت عليهم ، وبلغت فواجعهم واستغاثاتهم مسامع الملك لايوس . فحزن لمصير شعبه .. ولم يجد بدا من التوجه مع نفر من حاشيته إلى

فعبد «دلف» لاستشارة الآلهة فيما ينبغي فعله لوقف غضبها الذى صبته على المدينة .. لكن الموكب التقى فى الطريق بأمير مجهول من أمراء كورينثة (لم يكن سوى «أوديب» الهارب من بلاط والديه ، فرارا من قدره المقسوم !) فنشبت بين أوديب وبين المسافرين فى ذلك الموكب ـ وكان يجهل شخصياتهم ! ـ مشادة تطورت إلى مبارزة ، صرع فيها الأمير الملك لايوس وأفراد حاشيته جميعا ، ماعدا واحدا استطاع أن ينجو بنفسه !

وحين نفض أوديب سيفه من المعركة ، واصل سفره متجها إلى «طيبة» ، دون أن يدور بخلده أنه قتل لتوه ملكها ! فلما وصل إليها واجه الوحش أباالهول ، الذى ألقى عليه لغزه المحير .. فوفق أوديب إلى الحل الذى عجز عنه أهل المدينة جميعا ، قال : إن المخلوق المقصود باللغز هو الإنسان ، فهو يمشى فى طفولته على أربع ، وفى شبابه على رجلين ، وفى شيخوخته على رجلين ثالثهما العصا التى يتوكأ عليها !

وإذ كان هذا الحل هو الصائب ، قفز أبوالهول من فوق صخرته واختفى عن الأنظار !.. وفى الوقت الذى هلل فيه الشعب فرحا بالخلاص من اللعنة التى كانت قد حلت به ، وصلت أنباء مصرع الملك لايوس وحاشيته فى الطريق ، على صورة غامضة ، بيد أشخاص مجهولين .. فلم يجد الشعب خلفا يجلسه على العرش الشاغر خيرا من الأمير «أوديب» الذى أنقذه من الوحش ، فوهبه تاج الملك الراحل وزوجته جوكاستا !

واستقر أوديب وزوجته جوكاستا على عرش «طيبة» ..

وتتابعت الأعوام ..

ـ ١ ـ

□ فإذا رفعت الستار عن الفصل الأول من المسرحية ، فقد انقضى على هذه

الأحداث اثنا عشر عاما ، أثبت الملك أوديب خلالها مقدرة فائقة وكفاءة ملحوظة فى حكم البلاد .. ونعمت «طيبة» طيلة تلك السنوات بفترة يسر ورخاء .. حتى تفشى فيها فجأة وباء الطاعون ! فهرع الشعب إلى الميدان المواجه لقصر الملك ، وأرسلوا إليه وفدًا منهم يلتمس منه إنقاذ رعاياه من الوباء المروع ، كما أنقذهم منذ اثنى عشر عاما من الوحش أبى الهول ! فيجيب أوديب على توسلات مندوبى الشعب قائلا أنه قد بادر بالفعل إلى إرسال شقيق زوجته الملكة ـ المدعو كريون ـ إلى معبد دلف ليسأل الآلهة عما ينبغى فعله لرفع غضبها عن المدينة ..

وفيما الملك يتكلم ، يصل كريون عائدا من مهمته :

أوديب : حدثنا أيها الأمير المحبوب ، أى جواب مقدس تحمله إلينا من إله معبد دلف ؟

كريون : أن نثأر لدم ملكنا السابق لايوس !

أوديب : نثأر ؟ ولكن كيف ؟ كيف نلاحق الإثم المطمور فى طيات الماضى المريب ؟ كيف نعثر على القتلة ؟

كريون : الإله يشترط لكى يرفع عنا الوباء أن نقتص من القتلة أولا !

□ لكن أوديب لا يعلم من قصة مصرع سلفه أكثر من أنه قتل فى ظروف غامضة ، فيستفسر الآن من حاشيته عن التفصيلات ، فيعلم أنه قتل بيد عصابة من اللصوص ، هو وأفراد حاشيته جميعا ، باستثناء شخص واحد عاد سالما ، لكن الصدمة هزت أعصابه وطمست ذاكرته بحيث لم يعد يذكر شيئا من تفصيلات المأساة !

واستجابة لسخط الشعب يتحمس أوديب لفكرة الثأر من القتلة ويستمطر اللعنات عليهم ، متوعدا إياهم بأشد العقاب .. ويقسم أمام رجال حاشيته على ذلك !

وهنا يستحثه كريون على استدعاء العراف الأعمى المسن «تيريسياس» ، لعله يستطيع الاهتداء إلى مفتاح الجريمة .. فيحضر العراف ، يقوده صبي صغير.

أوديب : تيريسياس ، أنت ترى كيف يفتك الطاعون المخيف بشعبنا البرىء . فأنقذنا جميعا من اللعنة التي خلفها الموتى وراءهم .. تكلم ، أفصح لنا عن اسم قاتل الملك لايوس !

تيريسياس : أنا أفصح؟ بل دعوني أذهب إلى بيتي بسلام ..!

أوديب : أنت تعرف القاتل ولا ترشدنا إليه؟.. تتركنا حتى يهلك الوباء شعبنا ؟

تيريسياس : ماذا تريدني أن أقول ؟ إنك تواجهني بسؤال لن أجيبك عليه .. خير للجميع ألا أبوح بما أعرف !.. ولندع الأيام تميط بنفسها اللثام عن الحقيقة ..

☐ **لكن** إحجام العراف عن الإرشاد إلى القاتل يثير ثائرة الملك أوديب ، وشكوكه ، فيرجح أن يكون العراف نفسه مدبر الجريمة .. ويواجهه بالتهمة !.. وإزاء هذا يضطر العراف إلى الدفاع عن نفسه ، غاضبا لشرفه وطهارة يده ، فيلقي أخيرا بالحقيقة في وجه أوديب ..

تيريسياس : إنك أنت سبب البلاء ومصدر الوباء .. أنت أنت القاتل الذى نبحث عنه !

أوديب : ماذا تقول؟ كيف تجرؤ !؟

تيريسياس : أو لم تلح على فى الإفصاح عن اسم القاتل الذى يطلب الإله الاقتصاص منه كي يرفع الوباء عن طيبة؟ إنك أنت مصدر اللوثة التى أغضبت الإله فأهلك من أجلها شعبك !

☐ **ويحتدم** النقاش ، فيتهم أوديب شقيق زوجته «كريون» بأنه الموحى إلى

العراف بهذه الفرية ، طمعا فى اغتصاب عرشه !

أوديب : يا لسلطان الحسد ، الذى جعل مخلصا قديما مثل «كريون» يسعى الآن بالخديعة كي يطيح بى عن عرشي ، مستأجرا هذا المشعوذ الدنىء ، الأعمى عن كل شيء عدا الكسب الحرام !

تيريسياس : لست أنا الذى جئت من تلقاء نفسى ، وإنما أنت الذى استدعيتنى .. وهأنذا ذاهب ، بغير أن يجبرنى على ذلك خوف منك ، فلست أنت القوة التى تملك إيذائى ! ودعنى أكرر على مسمعك : إنه هنا ، قاتل الملك لايوس الذى تبحث عنه .. ولن يعود عليه كشف الحقيقة بالخير والغبطة ، فلسوف يفقد البصر وهو المبصر ! .. ويفتقر ، وهو الذى يرفل الآن فى الثراء ! .. ولسوف يمضى منبوذا إلى بلاد غريبة ! .. كيف لا وهو والد أطفاله وشقيقهم ! .. ابن أمه وزوجها ! .. البذرة ، والباذر ، والمبذور ! .. الفاسق بأمه ، والقاتل لأبيه !

فاذا أفرغ العراف الأعمى جعبته من هذه اللعنات والنبوءات ، استحث الصبى أن يقوده إلى الباب ..

ـ ٢ ـ

☐ **فإذا** كان الفصل الثانى فقد أمر أوديب بقتل «كريون» شقيق زوجته ، بتهمة التآمر على عرشه ! .. فلجأ كريون إلى الشعب يحاول أن يستنصفه من ظالمه ، ويثيره ضد طغيانه ! .. **وتقف الزوجة الحكيمة ـ «جوكاستا» ـ فى هذه المحنة موزعة القلب بين زوجها وشقيقها .. وتلمح بوادر انقسام فى صفوف الشعب ، وثغرة فى ولائه لملكه «الظالم» ، فتنتهزها فرصة لإقناع أوديب بعدم اللجوء إلى العنف أخذا بشائعة لم يقم عليها دليل ، واندفاعا وراء عاطفة غضب موقوتة ..**

وتضم حاشية الملك صوتها إلى صوت الملكة .. فيرضخ أوديب ، ويكتفى

«بنى» كريون بدلا من قتله !

وإذ تخلو «جوكاستا» إلى زوجها تحاول أن تزيل أثر العداء الطارئ بينه وبين شقيقها :

أوديب : إنه وعرافه المخرف يتهماننى بأننى قاتل لايوس !

جوكاستا : أو تصدق مزاعم العرافين؟.. إنهم بشر ، ما أضأل معرفتهم بالغيب ، وأكذبهم ! وإليك الدليل ..

☐ **وتقص** عليه قصة النبوءة القديمة التى أوحت إلى زوجها السابق «لايوس» بأنه سيرزق ابنا ، ويموت قتيلا بيد هذا الابن نفسه !.. وتستطرد جوكاستا إلى أن لايوس مات مقتولا بالفعل ، لكنه إنما قتل بيد تلك العصابة من اللصوص التى هاجمته «فى مفترق ثلاث طرق» .. فضلا عن أن ابنه الذى رزقه قد ألقى وهو بعد فى يومه الثالث ليلقى حتفه على سفح جبل مهجور ، بعد أن سمرت قدماه فى إحدى الصخور بحربة مسنونة .. بحيث لا يمكن أن يكون قد عاش وحقق النبوءة !

لكن جوكاستا لا تكاد تشير إلى أن لايوس قد قتل عند «مفترق ثلاث طرق» حتى يدب فى ذاكرة أوديب دبيب غامض ، يزداد إزعاجا له وإلحاحا على ذهنه حين يعرف أن مفترق تلك الطرق يقع فى جهة «فوكيس» .. وإذ تتفاقم هواجسه لا يملك نفسه من إشراك زوجته فيها ، لعله يجد عندها ما يرد الطمأنينة إلى ضميره ..

وهكذا يبوح لها بأنه شب معتقدا أنه ابن «بوليباس» و «ميروب» ملكى كورينثة ، حتى أفلت لسان أحد السكارى فى مأدبة كان يحضرها فقال أن أوديب ليس ابن الملكين الحقيقى .. وأزعجه هذا القول فمضى ذات يوم ليستشير إله معبد «أبوللو» بشأن حقيقة ذلك الزعم ، فتنبأ له الإله بأنه سوف يقتل أباه وينجب نسلا من أمه ! ـ دون أن يزيد الوحى على ذلك حرفا .. فاعتقد أوديب أن قول ذلك المخمور الماجن بصدد نسبه كان فرية كاذبة ، وإذ خشى على أبيه وأمه ـ ملكى

كورينثة ـ من تحقق النبوءة الجديدة بادر إلى الفرار من كورينثة ليقضى بقية حياته فى طيبة .. وفى الطريق ، عند ملتقى ثلاثة اتجاهات ، التقى بعربة تقل سيدا وعددا من خدمه ، وإذ كان الطريق ضيقا لا يتسع لمروره هو والعربة فى وقت واحد ، تحرش به أحد الخدم ، فقتله أوديب .. ثم قتل سيده الذى هب لمهاجمته .. ثم أجهز على بقية الركب الذين أرادوا الانتقام لقتلاهم !.. وهكذا لم ينج من ركاب العربة غير خادم أخير لاذ بالفرار ..

وإذ يفرغ أوديب من رواية القصة لزوجته ، تزداد مخاوفه من أن يكون هو قاتل لايوس حقيقة ، ولا يبقى لديه غير ثمة بصيص ضئيل من الأمل فى أن يكون التشابه بين ظروف المعركتين محض مصادفة .. فيصيح وقد أزمع أن يقطع الشك باليقين :

أوديب : احضروا فورا ذلك الخادم الذى نجا !

ـ ٣ ـ

□ **فإذا** كان الفصل الثالث فنحن فى إنتظار وصول الخادم المذكور ، الذى صار الآن راعيا للأغنام .. ونرى «أوديب» مشفقا من حضوره ، فى حين تحاول زوجته جوكاستا أن تهدئ من مخاوفه وتطمئن من انزعاجه بالقول أن الأمر لن يتكشف عن شىء ذى بال ، ولن تتحقق نبوءة الآلهة بحال !

وفى هذه الأثناء يقبل رسول من كورينثة فيعلن أن الملك «بوليباس» قد مات ، فأصبح ابنه أوديب ملكا على كورينثة . ويفرخ روع أوديب لهذا النبأ الذى يكذب على الأقل نصف نبوءة الآلهة ، فقد مات بوليباس نتيجة المرض ولم يمت مقتولا بيد ابنه أوديب .. وإذن لم يبق أمام هذا ما يخشاه غير النصف الآخر من النبوءة ، الخاص بإنجابه نسلا من أمه ! وإزاء ذلك ينهى أوديب للرسول أنه لن يقبل عرش

كورينثة ، خشية أن توقعه الظروف فى شرك الإتصال بملكتها ميروب ـ أمه ـ فتحقق النبوءة !

وهنا يتصدى الرسول لتبديد مخاوف الملك ، فيصارحه بأنه ليس ابن بوليباس وميروب حقيقة ، بل ابنهما بالتبنى فقط !.. ويدعم الرسول زعمه بالقول أنه هو الذى حمل أوديب الطفل إلى بلاط ملكى كورينثة ، بعد أن وجده مقيدا من قدميه إلى صخرة على سفح جبل «كيثايرون» ، وكان الذى أرشده إلى مكانه راع من زملائه كان يعمل قبلا فى خدمة الملك لايوس !

ويجمد الدم فى عروق الملكة جوكاستا وهى تنصت إلى أقوال الرسول التى تميط اللثام عن الحقيقة الرهيبة .. وتحاول أن تثنى أوديب عن فكرة استدعاء ذلك الراعى الذى يملك وحده مفتاح الموقف !.. لكن الملك المعذب قد صح عزمه على نبش الحقيقة من مرقدها وكشف النقاب عنها مهما كانت بشاعتها ، وأيا كان الثمن !

ويقترح أحدهم أن تفصح الملكة عن اسم خادمها القديم ، لكن التعسة تناشد «زوجها» أن يصم أذنيه عن الشائعات والترهات ، ويطلق بحثه عن الحقيقة طلاقا حاسما :

جوكاستا : بحق الآلهة كف عن التحرى والاستقصاء ، إذا كانت لحياتك قيمة فى نظرك .. كفانى شقائى وأساى ! أواه يا ابن الألم والويلات ، أتوسل إليك يا إلهى أن لا تطلعه على الحقيقة قط !

أوديب (فى إصرار) : فليحضر الراعى إلى هنا دون إبطاء !

□ **ويمضى** الرسل لتنفيذ الأمر .. فتطلق جوكاستا صرخة لوعة ويأس ، وتنطلق من الحجرة لا تلوى على شىء ! بينما يلاحقها صوت أوديب قائلا فى لهجة احتقار أنها إنما تخشى انكشاف سر مولده ونسبه لأنه كفيل بطعن كبريائها فى الصميم ..

ويقاد إلى الحجرة شيخ مسن يرتجف خوفا .. فلا يكاد يقع عليه بصر الرسول القادم من بلاط ملك كورينثة حتى يتعرف فيه على شخص الراعى الذى أعطاه الطفل أوديب !. ويدرك الراعى من فوره بشاعة المأساة ، فيحاول عبثا إسكات الرسول الثرثار .. ولكن دون جدوى ، فقد فات الأوان !

وتحت تأثير تهديد أوديب للراعي بالتعذيب ، يعترف المسكين بأن أوديب هو ابن الملك السابق لايوس وزوجته الملكة جوكاستا ، وأنهما قد أعطياه إياه ليهلكه .. لكن قلبه لم يطاوعه على ارتكاب هذه الجريمة فخان ثقتهما وتركه على قيد الحياة !

أوديب : ويلتاه ! ويلتاه ! ويلتاه ! أخيرا ينكشف كل شيء بوضوح .. أواه أيها الضياء ، فلتكن هذه نظرتى الأخيرة إليك ، أنا الذى أدين بمولدى إلى من لا ينبغى أن أدين لهما .. إلى أم كان ينبغى أن لا أعاشرها ، وأب كان ينبغى أن لا أقتله !

ويندفع إلى داخل القصر كالمجنون ..!

- ٤ -

□ **فإذا** كان الفصل الأخير رأينا نفرا من رجال الحاشية يروون ما وقع عقب حوادث الفصل السابق : فقد أقبل على أوديب رسول يقول أن جوكاستا قد فرت إلى مخدعها القديم صائحة باسم زوجها الأول «لايوس» مولولة فى فزع وذعر : «ويلى أنا الشقية .. زوج ولد من الزوج ، وابن ولد من الابن !» .

وحين يلحق بها أوديب المعذب بعد حين فيقتحم عليها الباب وسيفه فى يده ، يجدها معلقة فى وسط الغرفة من رقبتها .. وقد خنقت نفسها بشعرها !.. فيحل المسكين وثاقها ، ثم ينتزع من صدرها مشبكا ذهبيا ويفقأ به عينيه صائحا : «إنكما لن تعودا تريانى ، أو تريان أساى ، وخطاياى !.. وأنت يا ضياء النهار ، دعنى

أراك للمرة الأخيرة !..»

ثم يتحامل الملك التعس على نفسه وهو ينزف دم عينيه ، ويطلب أن يقودوه إلى خارج القصر ليواجه شعبه الوفى .. وهناك ، أمام الجماهير الباكية يظهر أوديب ، بائسا ، أعمى ، دامي العينين ، فيعلن لشعبه أنه قاتل ملكهم السابق «لايوس» وملوث فراش «أمه» التي أنجبته ! .. ويروح يصب لعناته على الإله أبوللو الذى تنبأ له بهذا المصير ، وعلى الراعى الأثم الذى أنقذه من الموت وهو طفل وليد !

ويطالب أوديب قومه أن يدعوه يهيم على وجهه فى الأرض ، ليكفر عما جنى .. وفى هذه الأثناء يصل «كريون» شقيق الملكة فلا يكاد يقف على ما حدث حتى يأمر بإعادة الملك إلى داخل القصر :

كريون : إنى لم آت أيها العزيز أوديب لأحقرك أو أوبخك من أجل جرائمك السابقة ..

أوديب : بل فلتطردنى توا خارج هذه البلاد .. فقط ، أوصيك بابنتى المسكينتين .. ألا دعنى ألمسهما بيدى وأبكى معهما أحزانى .. امنحنى هذه المنة الأخيرة أيها الأمير !

☐ ثم يكرر توصيته لخالها برعايتهما فى يتمهما الطويل ، والسهر على حمايتهما من الفقر أو العار الذى قد يلحق بهما من جراء إثم والديهما .. كما يوصيه بتهيئة جنازة لائقة للملكة جوكاستا .. ويستجيب كريون لتوسلات أوديب فيستدعى له ابنتيه :

أوديب (وقد أحس بدخول بنتيه «أنتيجون» و «ايسمين») : أواه يا إلهى ، هل أسمع نغم صوتكما الحبيب تقطعه شهقاتكما؟ تعاليا إلى ياطفلتى العزيزتان .. إنى أبكى من أجلكما ، من أجل الحياة الكئيبة الموحشة التى تنتظركما على يد البشر فى

سنواتكما القادمة . أواه يا كريون ، لا تدعهما تقاسيان عناء الحياة بغير أزواج ، أو تتسولان من أجل خبزهما اليومى ..

كريون : أوديب ، كفى دموعا وبكاء ..

أوديب : بل دعنى أبكى .. مصيرهما ، ومصيرى .

كريون : حانت ساعة الفراق ..

أوديب : هكذا سريعا !.. لم يبق إلا أن أذعن لقدرى ونصيبى ، مهما كان قاسيا ..

☐ ويتركهم يقودونه إلى حيث شاءوا أن يقضى بقية حياته فى داخل القصر.. فى منفى رهيب من العمى والعذاب .

وتغلق خلفه الأبواب..!

(ســتار)

سلاح المرأة !

أريستوفان

LYSISTRATA

By

ARISTOPHANES

المؤلف

.. هو شاعر الاغريق المرح وعميد كتاب الكوميديا القديمة «أريستوفان» .. عاش بين عامي (٤٤٨ ـ ٣٨٥) قبل الميلاد ، في فترة من أحرج الفترات التي مرت بدولة أثينا الديمقراطية العريقة ، فترة حربها الضروس مع مملكة «أسبرطة» الأوتوقراطية العاتية .. وقد أوحت له أهوال تلك الحرب المروعة بفكرة المسرحية الهزلية الساخرة التي أقدمها لك فيما يلي ، والتي تمتاز بعمق المغزى وطرافة القالب والسياق في آن معا .. كما سترى .

كان اريستوفان ـ على حد تعبير « فولتير » ـ يضحك ، كي يمنع نفسه من الانتحار .. وقد حول مأساة الحياة إلى مزحة وفكاهة ، وقلب جدها هزلاً وتهريجاً .. وبذلك مكن مواطنيه من أن ينسوا متاعبهم .. لكنه أجبرهم في الوقت نفسه على أن يفكروا ويمعنوا الفكر !.. فهو لم يكن مجرد كاتب كوميدى ، بقدر ما كان ساخرًا .. أحب الحكمة في عصر حفل بالحماقة ، وأولع بالسلم في عصر كان يمجد الحرب !.. وكره خداع الساسة ، وخبث تجار الموت ، واستهتار زعماء الدهماء !.. كان سلميًا ، محافظًا ، وأنت تلمس منه هاتين النزعتين في أكثر المسرحيات الإحدى عشر التي «بقيت» للإنسانية من تراثه ـ أما التسع والعشرين مسرحية الأخرى التي كتبها فقد فقدت ! ـ وفي هذه الكوميديات الإحدى عشر بحث أريستوفان ـ بصراحة رائعة ـ أغلب المشكلات السياسية والاجتماعية التي ما يزال يضطرب بها العالم المتمدين حتى يومنا هذا : مشكلات الحرية ، والمساواة ، والاخوة ، والاشتراكية ، والفوضوية .. وحقوق المرأة ، وأساليب التربية «الحديثة» ، والسلم ، والحرب ، والدين .. إلخ

ويمتاز حوار أريستوفان بإثارته للتفكير وشحنه للاذهان ، أذهان قراء ونظارة اليوم ، مثل شحنه لاذهان أسلافهم منذ ألفي وأربعمائة عام ، سواء بسواء !..

وكم من كوميديا عصرية تدين بنجاحها «وروحها» الفكهة لصدى فكاهات أريستوفان الخالدة على مر الزمان ..!

.. ليت زعماء العالم ورؤساء الدول جميعًا يقرأون هذه الكوميديا الطريفة ـ العميقة المغزى ـ بل يحفظونها عن ظهر قلب !.. إذن لترددوا وأطالوا التفكير قبل أن يزجوا بشعوبهم فى أتون الحرب ، ولأمسكوا بأذيال السلم وتلابيبه بكل قواهم .. إن لم يكن حبًا فيه ، وايمانًا به ، فعلى الأقل خوفًا من غضبة النساء ، وثورة الزوجات !.. وأنت ادرى بغضبة النساء وثورة الزوجات ..!

* * *

شخصيات الرواية

ليسستراتا : حسناء من حسان أثينا	Lysistrata
امرأة من نساء «أثينا»	Athenian woman
الحاكم	Magistrate
جوقة (كورس) من الرجال	Male chorus
جوقة من النساء	Female chorus
جوقة مشتركة من الجنسين	Joint chorus
امرأة من نساء أسبرطة	Spartan Woman

زمان الرواية : حوالى عام ٤٠٠ قبل الميلاد .
مكان الرواية : أثينا عاصمة بلاد اليونان .

* * *

الفصـل الأول

نحن فى أثينا القديمة ، وقد ضجت نساؤها من طول أمد الحرب المحتدمة بين بلادهن وبين مملكة «اسبرطة» ، وهى الحرب التى انقضى على نشوبها أكثر من ثمانية عشر عاما !.. فصحت عزيمة فريق منهن على التماس سلاح يجبر الرجال ذوى النزعة العسكرية ، ولا سيما قادة البلاد وحاكميها ، على وضع حد للحرب الطاحنة التى تفتك بالألوف من أشبال اليونان وشبابهم ..

فماذا يفعلن ..؟

قامت حسناء منهن ـ تدعى ليسستراتا ـ بدعوة الزوجات الثائرات إلى اجتماع يتبادلن فيه الآراء ويقلبن الأمر على شتى وجوهه ، لعلهن يهتدين إلى حل للموقف ..

والتأم شمل المجتمعات .. وطال النقاش والجدل ، والأخذ والرد .. وفجأة يتفتق ذهن الحسناء ليسستراتا عن فكرة يتمثل فيها مكر الأنوثة ودهاؤها : إنها تدعو زميلاتها الزوجات إلى تنظيم اضراب «جنسى» ضد أزواجهن ، حتى يقلعوا عن حروبهم المرذولة ويستجيبوا لنداء السلام !.. «فلكى نرغم أزواجنا على عقد الصلح ، ليس أمامنا غير سبيل واحد : أن نحرمهم من مباهج الحب !»

لكن المجتمعات يترددن فى البداية فى الانضمام إلى هذا «الاضراب» .. ويبدأن فى اثارة شتى الاعتراضات عليه ، واحدة منهن فى أثر الأخرى :

زوجة من الحاضرات : إذا نحن عاقبنا أزواجنا بهذه الطريقة نكون قد عاقبنا أنفسنا أيضًا .. شأن من يعض أنفه ليشوه وجهه فتؤلمه العضة .. !

ليسستراتا : ياالجبنكن !.. لا عجب إذا تنافس الكتاب فى وصف ضعفنا ووهننا .. إننا فى الواقع نقضى حياتنا كلها بين الأرجوحة والفراش !

زوجة أخرى : حسنًا ، فلنفرض أننا وافقنا على فكرة مقاطعة أزواجنا ـ ولو أن السماء تحرم ذلك ـ فهل تعتقدين أننا بذلك نكون قد اقتربنا خطوة من السلام ؟

ليسستراتا : بل نكون اقتربنا منه خطوات !.. كل ما يتعين علينا أن نفعله هو أن نتأنق فى لباسنا ونفرط فى التزين والتعطر حتى نصبح على نصيب من الجاذبية لا يقاوم .. وعندئذ ، حين يتهيأ رجالنا للرضوخ .. نصدهم !.. ويوم يحدث ذلك ، أؤكد لكن إنهم سوف يتلهفون على عقد الصلح .

زوجة ثالثة : ولكن ماذا لو أمعن ازواجنا فى العناد فهجرونا تمامًا واستغنوا عنا ؟

ليسستراتا : عندئذ نستطيع أن نجد تسليات أخرى نزجى بها أوقات فراغنا !

الزوجات (فى صوت واحد): حسنًا جدًا ، فلنجرب الفكرة إذن ... فمن يدرى ، لعلها تنجح !؟

ليسستراتا : أنا موقنة إنها سوف تنجح !

* * *

الفصـــل الثانى

.. فإذا كان الفصل التالى رأينا الزوجات الثائرات يتخذن خطوتهن الأولى فى حربهن ضد «الحرب» !.. فيهاجمن مقر خزانة الدولة التى أودعت فيها سندات المالية العامة .. وتدور بينهن وبين الرجال المدافعين عن الخزانة معركة عنيفة يستخدم الاولون فيها المواد المحرقة ، كى يهلكوا طابور النساء المهاجمات .. وتستخدم هؤلاء جرار وبراميل الماء ، كى يغرقن خصومهن !..

وفى وسط المعركة .. يندفع حاكم أثينا إلى المكان وفى ركابه ثلة من رجال الشرطة :

الحاكم (مشيرا إلى ليسستراتا) : اقبضوا على الخائنة !

□ ويحدث هرج ومرج بين رجال الشرطة والنساء .. ثم تنجلى المعركة عن انتصار النساء !.. واذعان الرجال المقهورين للأمر الواقع :

الحاكم : سيداتى ، لا مفر من الاعتراف بأننا قد هزمنا .. ولكن ، فلنتفاهم : ما الباعث على كل هذا العراك؟ لماذا هاجمتن الخزانة العامة؟

ليسستراتا : كى ننقذ أموال الشعب المودعة هنا ، حتى لا تشنوا من أجلها حروبًا أخرى !

الحاكم : ماذا؟ أو تحسبين يا سيدتى العزيزة إننا قد اشتبكنا فى هذه الحرب من أجل المال !

ليسستراتا : بلا شك ، كل حرب إنما تنشب من أجل المال .. لماذا تحسبون الساسة يشنون الحروب !.. إنهم لا يشنونها إلا ليجدوا فرصة ليسرقوا !.. لكنهم منذ الآن لن يجدوا مالاً ينفقونه على حروبهم ، فإننا نحن اللواتى ستولى التصرف فى مالية البلاد ..!

الحاكم : أنتن؟

ليسستراتا : بالتأكيد ! أو لسنا خبيرات بالتصرف فى مالية البيوت ، وموازنة ميزانياتها ؟

الحاكم : أوه ، ولكن هذا أمر جد مختلف ..

ليسستراتا : وما الذى يجعله مختلفاً ؟

الحاكم : الأموال العامة لازمة للقتال يا سيدتى العزيزة

ليسستراتا : لكن القتال ذاته ليس لازماً يا سيدى !

□ ويتهيأ الحاكم لمواصلة النقاش والجدل .. لكن النسوة الثائرات يمسكن بتلابيبه فيجردنه من ثيابه ويلبسنه ثياب امرأة !.. إنهن الآن قد اتخذن عدتهن للاستيلاء على مقاليد الأمور ، كي ينقذن البلاد من الكارثة التى أوقعتها فيها حماقة الرجال !.. سوف يعالجن «عقد» السياسة والحرب بنفس الطريقة التى يعالجن بها خيوط «شلة» معقدة من صوف «التريكو» !.. سوف «يلضمن» الشعوب جميعًا فى «خيط واحد» من الصداقة الطيبة ..!

ويسقط فى يد الحاكم .. لكنه لم يقتنع بعد بجدارة النساء بتصريف سياسة البلاد .. «فهما يكن من شيء ، فالحرب أمر يخص الرجال !»

لكن ليسستراتا تقاطعه محتجة : «أوه ، كلا .. بل إنها أمر يخص النساء !.. النساء هن اللواتى يقاسين أشد الآلام والكوارث نتيجة للحروب التى تشنونها أنتم !.. وإلا فأين أبناؤنا الذين أرسلناهم إلى ميادين قتالكم؟ وما خطب أزواجنا الذين لا يعودون قط من الميدان؟

ويحاول الحاكم المضى فى جدله السقيم .. لكن ليسستراتا تقاطعه هاتفة : «لقد آن لك أن تموت !» .. ثم تتبع قولها بالفعل فتمسك بتلابيب الرجل مرة

أخرى وتتعاون مع زميلاتها على الباسه «كفنًا» من أكفان الموتى ! .. فينطلق يعدو وهو ينشج بالبكاء مستغيثاً .. بينما تواصل الزوجات اضرابهن ! !

الفصـــل الثالث

.. فإذا كان الفصل الثالث فقد أحرز الاضراب نجاحًا كاملاً ، ليس فقط فى أثينا ، بل وفى بلد الأعداء أنفسهم : «اسبرطة» .. حيث نظم النساء اضرابًا مماثلاً ضد أزواجهن ..!

ويرضخ الأزواج فى البلدين لارادة زوجاتهم آخر الأمر .. فيقبلون إنهاء الحرب بين بلديهم ، مقابل استرداد حبهن ، و «وصالهن» ! .. وتسمع أصوات مختلطة :

جوقة من الرجال : كم كان حكيمًا الفيلسوف الذى أطلق على النساء : «الجنس المخالف» ؟! .. فنحن لا نستطيع العيش معهن .. ولا نستطيع العيش بغيرهن ! !

جوقة من النساء : فلتقولوا ما تشاؤون .. ولتفعلوا ما يروق لكم .. فالكلمة الأخيرة تكون دائمًا لنا نحن النساء .. لأن منطقنا هو المنطق العقيم .. الذى لا يمكن التعقيب عليه ! !

جوقة مختلطة من الجنسين : كفانا مشادات لا طائل وراءها .. فلنحزم أمرنا ونعقد الصلح !

الفصـــل الرابع

.. فإذا كان الفصل الأخير فقد التقى مبعوثو أثينا ومبعوثو اسبرطة كى يعدوا التدابير اللازمة لانهاء الحرب .. وهم قد اختاروا الحسناء «ليسستراتا» كوسيطة بينهم !

ليسستراتا : أنا امرأة ، هذا صحيح ، لكنى لست مجردة من العقل ، فيا أرجو .. وإذن فلتصغوا إلى يا أصدقائى الأثينيون والاسبرطيون ، فأنا أريد أن أؤنبكم وألومكم مجتمعين ! .. أنتم كلكم من سلالة دم واحد ، ولغة واحدة ، وتعبدون نفس الآلهة .. وقد طالما تآخيتم وعاونتم أحدكم الآخر فى الماضى ، فلماذا تذبحون الآن بعضكم البعض ؟.. لماذا لا تصلون إلى تفاهم وتتفقون على شروط الصلح ؟ لماذا ؟.. قد يكون ضروريًا لأصناف الحيوان أن تقاتل ، لكن المؤكد أن القتال ليس ضروريًا بالنسبة للكائنات البشرية .. بل إنه لأمر يدعو إلى العار أن يقتل الإغريق بعضهم البعض ، بينما البرابرة المتوحشون ينظرون ويتفرجون ..!

مبعوث من اسبرطة : نحن على استعداد لعقد الصلح ، إذا نلنا مطالبنا ..

مبعوث من أثينا : إن مطالبكم ومطالبنا تنحصر الآن فى استرداد زوجاتنا من جديد !

ليسستراتا : حسنًا جدًا ، سوف تستردوننا ، والآن فلتمضوا جميعًا إلى مأدبة الصلح ، وبعدئذ ، حين تزيلون العطب الذى أصاب صداقتكم الجريحة .. يصبح فى وسع كل رجل أن يأخذ زوجته معه إلى بيته !

أسبرطى : هيا بنا أيها الأثينيون ، فلنشرب الخمر حتى نثمل !

أثينى : مرحى ، مرحى ، يا أصدقائى الاسبرطيون .. إن الإنسان يكون عادة أكثر فظاظة ومشاكسة حين يكون فى كامل وعيه .. فلو أفرط الدبلوماسيون فى الشراب واقتصدوا فى مشاداتهم الشفوية لقضى على الحروب نهائيًا ! .. إنهم عندئذ يغرقون خلافاتهم فى الخمر ، ويتبادلون العناق ، أو يغنون أغنية مرحة سويا .. ثم ينتهون إلى أن العدو يمكن فى الواقع أن يكون رجلاً طيبًا مثل سائر الناس !

ويمضى أهل أثينا وأهل اسبرطة إلى الوليمة ، ثم يعودون وقد صفوا الخلافات بينهم ، وصفت نفوسهم تمامًا !

ليسستراتا : والآن ، كل شيء قد أمكن تدبيره أخيرًا .. فتعالوا أيها الاخوان ، تأبطوا أذرع نسائكم .. ولنشارك جميعًا فى «رقصة السلام» !

جوقة : «أوه ، فلنصل اليوم إلى الآلهة ..

« كيما يأتى كل حقل بأطيب المحاصيل وأوفر الثمرات ..

« بينما نأكل نحن طعامنا فى سلام ، وخبزنا ولحمنا ..!

« أواه يا فينوس ، يا من تختالين فى ثوب الحب ..

« أعيدى لنا الآمال والمباهج التى فقدناها فى الحرب !

« ولننس السيف .. ننساه إلى الأبد !

(ســتار)

* * *

ترويــض النمــرة !

شـــكسبير

THE TAMING OF THE SHREW

By

W. SHAKESPEARE

المــؤلـف

(١٥٦٤ - ١٦١٦)

ولد «وليم شكسبير» - عميد المسرح الإنجليزى بل والعالمى - فى بلدة (ستراتفورد) الواقعة على نهر «أفون» بانجلترا فى ٢٣ أبريل عام ١٥٦٤ ، ودرس اللاتينية وشيئًا من اليونانية وشغف بمطالعة أعمال مؤلفى المسرح من الرومان . وفى سن ١٨ تزوج . وفى عام ١٥٨٥ انتقل إلى لندن حيث اشتغل بالتمثيل على المسرح ، إلى أن أغلقت مسارح لندن جميعًا من يونية ١٥٩٢ حتى أبريل ١٥٩٤ بسبب تفشى وباء الطاعون فى المدينة ، فعاش شكسبير خلال تينك العامين على العطايا التى نفحه بها أحد النبلاء مكافأة له على إهداء الشاعر اليه أول قصيدتين من الشعر نظمهما ، بعنوان (فينوس وأدونيس) عام ١٥٩٣ ثم (اغتصاب لوكريشيا) عام ١٥٩٤ . وفى ١٥٩٩ ساهم شكسبير مع زملائه الممثلين فى تأسيس نقابة انشأت مسرح (جلوب) الذى غدا من أشهر مسارح عصره . ومن نصيبه من ايرادات هذا المسرح جمع الممثل الشاعر ثروة أتاحت له أن يشترى دارًا فى مسقط رأسه (ستراتفورد) . وخلال تلك السنوات عكف شكسبير فى أوقات فراغه من التمثيل على تأليف المسرحيات الشعرية ، التى كان من أولاها : هنرى الرابع (١٥٩٢) ، ريتشارد الثالث (١٥٩٤) ، ريتشارد الثانى (١٥٩٥) ، الملك جون (١٥٩٦) إلى جانب عدد من الكوميديات المتتابعة : كوميديا الأخطاء ، سيدان من فيرونا ، حلم ليلة صيف ، ومن التراجيديات : تيتوس اندرونيكوس ، ثم رائعته الخالدة (روميو وجولييت) عام ١٥٩٦ ، تليها (تاجر البندقية) فى نفس العام ، و (زوجات وندسور المرحات) عام ١٥٩٧ ، و (جعجعة بغير طحن) ١٥٩٨ ، (كما تشتهى) ١٥٩٩ ، (الليلة الثانية عشرة) ١٦٠٠ .. وتلت ذلك أعمال شكسبير الخالدة . مثل : يوليوس قيصر (١٦٠٠) ، هاملت (١٦٠١) ، عطيل (١٦٠٤) ، الملك لير (١٦٠٥) - التى يعتبرها الكثيرون أعظم أعماله قاطبة - ثم ماكبث (١٦٠٦) ، أنطونى وكليوباترة (١٦٠٧) بيريكليس (١٦٠٨) ، حكاية الشتاء (١٦١٠) ، فالعاصفة (١٦١١) وأخيرًا (هنرى الثامن) .. وفى عام ١٦١٢ اعتزل شكسبير المسرح وعاد إلى مسقط رأسه (ستراتفورد) إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة فى ٢٣ أبريل ١٦١٦ .

هذه المسرحية

□ ليس أدل على براعة «شكسبير» من أن مسرحياته لا تزال صالحة لهذا العصر رغم مرور أكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن على تأليفها .. وقد يكون هذا معقولاً بالنسبة إلى المسرحيات التي كان خياله فيها يتجاوز نطاق الواقع ويستعين بالقوى الخفية والسحر والجن في تسيير أحداثها ، فإن القصص ذات القالب الخرافي لا تتقيد بمكان ولا بزمان .. وقد يكون هذا معقولاً أيضًا بالنسبة إلى المسرحيات ذات الطابع التاريخي ، فإن أحداث التاريخ هي هي مهما توالت العصور والأجيال ..

أما في موضوع اجتماعي ، فهنا مظهر العبقرية ..

والكوميديا التي نلخصها في هذا الفصل من النوع الأخير .. إنها موضوع يصلح لكل عهد وزمن .. موضوع ترويض المرأة المتمردة ، الجامحة .. وأطرف من الموضوع أسلوب العرض ، الذي سبق به «شكسبير» مخرجي المسرح والسينما في عصرنا هذا !

شخصيات الرواية

بابتيستا : ثري من أهل مدينة (بادوا) الايطالية	Baptista
كاترينا : ابنته الكبرى	Katharina
بيانكا : ابنته الصغرى	Bianca
فنشنتيو : كهل مسن من أهل بلدة (بيزا) بايطاليا	Vincentio
لوتشنتيو : ابنه	Lucentio
بتروكيو : شاب من أهل (فيرونا) بايطاليا	Petruchio
جريميو ، وهورتنسيو : شابان يخطبان ود «بيانكا»	Gremio, Hortensio

مقدمة الرواية

□ **يفرط** «كريستوفر سلاى» فى الشراب فى حانة خلوية ، حتى يفقد الوعى .. ويصادف أن يكون أحد اللوردات عائدا من الصيد ، فيعثر عليه نائما على الحشائش فى ساحة الحانة ، وإذ ذاك يأمر خدمه بأن يحملوه إلى القصر ، فيسلموه إلى فراش وثير ، ويلبسوه أفخم الثياب .. **حتى إذا أفاق ، سعى إليه غلام جميل من الخدم متنكرا فى زى امرأة توهمه بأنها زوجته ، وتوحى إليه بأنه كان من كبار اللوردات ذوى الجاه ثم أصيب بلون من الخبل ، وترحب بعودته إلى عقله .. وتقام بهذه المناسبة مأدبة فخمة حافلة بألوان الشراب ، يتقرب إليه فيها نفر من الممثلين الذين كانوا ينزلون ضيوفا فى قصر اللورد ..**

وينفذ خدم اللورد هذه الخطة ببراعة .. فما أن يفيق الثمل إلى نفسه حتى يهتف طالبا بعض البيرة ، وإذا بخادم يقول له : «هل لسيادتكم فى كأس من النبيذ الأبيض المعتق؟».. ويضيف خادم ثان : «ألا تتفضل بتذوق هذه الحلوى المسكرة؟» ويسأله ثالث : «أى الثياب ترتدون اليوم يا صاحب المجد؟»

ويبهت سلاى فيقول : «إنى أدعى كريستوفر سلاى ، فلا تقولوا يا «صاحب المجد» أو يا «صاحب السيادة».. أما النبيذ الأبيض فلم أذقه فى حياتى .. ولا تسألونى عن أى الثياب أرتدى ، فلست أملك ثيابا سوى خرق بالية ، وحذاءين تطل أصابعى منهما ..»

وهنا يتدخل اللورد ـ صاحب القصر ـ متنكرا فى زى خادم ، فيقول ممعنا فى الدعابة : «رحماك الله من هذه الفكاهة التى تمس مكانتك .. ومن الروح الخبيثة التى توحى لسيد مثلك أن يتواضع بهذا القدر وينكر على نفسه كل هذه الممتلكات !»

ـ ماذا ! .. أتراني مجنونا ؟.. ألست كريستوفر سلاى ، بن سلاى ، من مروج «بيرتون»؟ ألست بحكم مولدى بائعا متجولا ، وبحكم تعليمي صانعا لورق اللعب ، وبحكم التطور راعيا للدببة ، وبحكم مهنتي الحالية سمكريا ؟

ـ بل أنت لورد ، ولا شيء سوى لورد .. وقد أوتيت زوجة أجمل من أية امرأة فى هذا العصر !

ويعجب «سلاى» ، ويتساءل : **«أنا لورد؟ ولى مثل هذه الزوجة؟ أم أنني أحلم الآن؟ إننى لست نائما .. فأنا أسمع ، وأرى ، وأتكلم ، وأشم روائح جميلة ، وأحس بأشياء ناعمة .. لعمرى إننى «لورد» حقا ، ولست سمكريا !.. لست كريستوفر سلاى .. حسنا ، فلتحضروا السيدة أمام بصرى .. ومرة أخرى إلى بكأس من البيرة !»**

ولا يلبث أن يفد خادم ينبىء المولى بأن ممثلى «سيادته» فى انتظار إذنه ليمثلوا أمامه مسرحية مضحكة ، عملا بنصح أطبائه ..

سلاى : حسنا ، سوف نرى .. تعالى يا زوجتى فاجلسى بجوارى .. ودعى الدنيا تواصل سيرها .. فلن نحس بشبابنا يوما قدر ما نحس الآن ..

ثم تهبط الستار ، لترفع من جديد بعد حين عن الفصل الأول .. الفصل الأول من الكوميديا التى تمثلها الفرقة لصاحبنا «السمكرى» المحظوظ .. (وهى طريقة بارعة فى الإخراج والعرض ، يكثر من اتباعها رجال السينما فى أيامنا هذه ، دون أن يخطر ببالهم أن شكسبير سبقهم إليها حوالى عام ١٥٩٧ !)

الفصل الأول

□ **وترفع** الستار عن الفصل الأول من «الكوميديا» التى أقدم الممثلون على أدائها أمام «اللورد» الزائف .. فإذا نحن نرى «لوتشنتيو ـ وهو الابن الأوحد لأحد

أعيان مدينة «بيزا» الايطالية ـ وقد أوفده أبوه برفقة خادمه الأمين «ترانيو» إلى مدينة «بادوا» (كعبة الفنون فى ذلك العصر) ليصيب من فنونها ويتفقه ..

وفيما هما يجلسان فى أحد الأماكن العامة ، يتدبران أمر اتخاذ مسكن لائق للشاب وأصدقائه وضيوفه ، إذا بهما يسمعان «بابتيستا» ـ وهو أحد ثراة المدينة ـ يتحدث إلى الشابين «جريميو» و «هورتنسيو» اللذين كانا يلحان عليه ويلحفان ، متنافسين على الفوز بيد ابنته الحسناء «بيانكا» ـ وكانت تجلس بينهم مع أختها الكبرى «كاتارينا» ـ ولكن الأب يصر فى حزم على أنه لا يمكن أن يبت فى خطوبة لبيانكا ما لم تخطب أختها الكبرى كاتارينا أولا .. ومن ثم فهو يدعو الشابين إلى أن يسعيا للتقرب إلى هذه .. فتسائل الفتاة الكبرى أباها فى لهجة فظة كيف يمتهن كرامتها بأن يعرضها على طلاب الزواج عرضا ؟

وإذ يحتج «هورتنسيو» ـ أحد الشابين ـ على لهجتها السليطة ، تجيبه بأنه لا يستحق أى اهتمام من فتاة ، «وإنما أقصى ما ترجوه أنت من المرأة أن تمشط لك «البصلة» ـ (صلعتك) ـ بكرسى ذى ثلاث أرجل .. وأن تلطخ وجهك بالأصباغ وتتخذ منك مسخا» !

ويقول الخادم «ترانيو» لمولاه الشاب لوتشنتيو ، وهما يرقبان الجماعة : «هاك يا مولاى ملهاة تشغل الوقت .. فهذه الفتاة الجريئة إما مفرطة الجنون ، وإما رعناء مشاكسة !».. ولكن «لوتشنتيو» يعجب بالفتاة الصغرى «بيانكا» الصامتة ، الرزينة ، ويقع فى شرك حبها ! .. وإذ يسمع أن أباها يبحث عن مدرسين لتثقيف إبنتيه ، يعقد عزمه على أن يتبادل الثياب مع خادمه ، وأن يتقدم إلى الأب على أنه مدرس للشعر !

وفى تلك الأثناء ، ينهمك الشابان «جريميو» و «هورتنسيو» فى البحث عن ثالث يوقعانه فى هوى «كاتارينا» ليخلو لهما السبيل إلى التنافس الشريف على حب

«بيانكا» .. وإذا الصدف تسوق إليها «بتروكيو» ، صديق هورتنسيو وأحد ثراة مدينة «فيرونا» ، وكان أبوه قد توفى وأورثه ماله فغادر موطنه ليشاهد العالم ، ويبحث عن زوجة ..

وينبئه «هورتنسيو» بأنه يعرف فتاة غنية ، بل مفرطة الثراء ، ولكنها شرسة وفى حاجة إلى ترويض ، ولذا فإنه يربأ بنفسه أن يرشحها له . ولكن الفتى الوارث يستهويه ذكر ثراء «كاتارينا» ، ويذكر أنه يعرف أباها إذ كان صديقا لأبيه المتوفى .. ويقول لمحدثه : «لن أنام يا هورتنسيو حتى أراها !».. فيصحبه هذا إلى دار أبيها ، **بعد أن يشترط عليه أن يسمح له بأن يتنكر فى زى مدرس يتقدم عارضا خدماته لتعليم بيانكا الموسيقى ، حتى يخلو له الجو فيتقرب إليها !**

وفى تلك الأثناء ، يكون «لوتشنتيو» ـ الذى تنكر متحلا شخصية مدرس للشعر ـ قد كسب ود «جريميو» وأقنعه بأن يقدمه إلى الأب كى يستأجره لتعليم بيانكا ، على أن يساعده فى التقرب إلى الفتاة !

وهكذا يلتقى الأربعة .. لوتشنتيو وجريميو وبتروكيو وهورتنسيو .. وما أن يعلم الأولان بعزم ثالثهما الشاب الوارث على الزواج من كاتارينا حتى يسأله جريميو :

ـ أو تراك قادرا على كسب ود هذه المتنمرة ؟

فيجيب الشاب بأنه قد صاد الأسود وركب أخطار البحر وخاض معارك الحرب ، فكيف ينتظر منه بعد ذلك أن يرهب لسان امرأة ؟

الفصل الثانى

□ فإذا كان الفصل الثانى رأينا الستار ترفع عن غرفة فى بيت والد الفتاتين ، وقد ضربت كاتارينا أختها بيانكا ، فيتدخل أبوهما مبديا إشفاقه على المظلومة التى كانت تبكى ، ويرمى المعتدية بأنها تضم بين جوانحها روحا شريرة .. وتصيح

كاتارينا بأنها أخيرا أدركت أن أباها يؤثر عليها أختها ، ويغلق عليها حبه دونها ؟

ويقبل إذ ذاك الشبان الأربعة : «جريميو» يصحب «لوتشنتيو» فى ثياب متواضعة لمدرس شعر .. وبتروكيو يصحب هورتنسيو وقد تنكر زاعما أنه مدرس موسيقى .. ويفد أيضا «ترانيو» وقد تزيا بزى «لوتشنتيو» وانتحل شخصيته ..

ويبادر «بتروكيو» رب الدار قائلاً : «خبرنى .. أليست لك ابنة تدعى كاتارينا ، جميلة وصالحة عفيفة ؟

وإذ يرد الأب بالإيجاب ، يقول الشاب : «**إننى سيد من فيرونا يا سيدى ، سمعت عن جمالها وذكائها ، وعن لطفها وتواضعها وحيائها .. فجرؤت على أن أستغل كرمك ، وأنزل فى ضيافتك ، لأشهد بعينى ما سمعت أذناى .. وإنى لأهبك ـ كهدية للتعارف ـ رجلا من أتباعى (يشير إلى «هورتنسيو») برع فى الموسيقى والعلوم الرياضية ، كى يفقهها فى هذه العلوم .. ومع أننى أدرك أنها ليست بالجاهلة ، إلا أننى أرجو أن تقبله وإلا عددتها إهانة**»..

ـ على الرحب والسعة يا سيدى بك ، وبه من أجلك .. أما ابنتى كاتارينا فإنى أعلم أنها لا تليق لك ، وهذا مما يزيد من أساى ..

وفى تلك الأثناء يتقدم «جريميو» إلى الأب فيقدم إليه «لوتشنتيو» على أنه الشاعر «كامبيو» الذى درس حتى أجاد اللغة اليونانية ، وحذق اللاتينية وبعض اللغات الأخرى !

كما يتقدم الخادم «ترانيو» متنكرا فى زى سيده «لوتشنتيو» فيطلب بدوره يد «بيانكا».. ويرحب الأب به باعتبار أنه ابن صديقه «فنشنتيو» . ويقبل خطوبة «بتروكيو» لكاتارينا ، ويتفقان على كافة الأمور .. غير أنه يشترط عليه أن يكتسب حب كاتارينا كشرط أساسى للزواج ، فيقول بتروكيو :

ـ حيثما التقت ناران فإنهما تأتيان على الشىء الذى يغذى وقدتهما .. وإذا كانت

النار الصغيرة تذكيها النسمات ، فإن الهواء العاتي يقضي على النار قضاء مبرما ..

ويشرع «هورتنسيو» فى تعليم «كاتارينا» الموسيقى ، فلا تتورع فى الدرس الأول عن أن تحطم القيثارة على رأسه ! .. ويكون تعليق «بتروكيو» على ذلك أن هذا العمل منها إنما زاد حبه لها عشر مرات ! .. ويسأل أباها أن يدعوها إليه ، وهو يعتزم أن يتقرب إليها بأحلى العبارات المعسولة ، كأن يقول لها أن شدوها أحلى من تغاريد البلابل .. وإذا عبست ، فلن يتورع عن أن يزعم لها أنها أصفى ما تكون .. ولو طردته ، فسيقابل ذلك بالشكر وكأنها تدعوه لكي يطيل إقامته !

وتفد «كاتارينا» فيبادرها بسيل من عبارات الإطراء الناعمة المعسولة ، يختتمها عارضا عليها الزواج ، ولكنها تجيبه بلسانها المقذع السليط .. ويروح يحاورها فتصفعه وهى تقول : «دعنى أمضى ..»

فيجيبها : «لن يكون ذلك .. إننى أراك فى منتهى اللطف .. لقد قيل لى عنك أنك خشنة ، سليطة ، نافرة عنيدة ، ولكنى وجدت ما قيل كذبا .. فأنتِ أنيسة ، كريمة ، سلسة ..».. ويمضى يفسر لها إحجامها عن الكلام على أنه بطء فى اللفظ ! ويزعم لها أنها لا تعرف العبوس مهما حاولته ، وأن ما قيل له عن أن بها عرجا ليس سوى دليل على كذب أهل الدنيا وبذاءتهم ، فما هذا عرج ، ولكنها تسير كما يحجل الغزال ! .. وتسائله الفتاة : «أين تعلمت هذه اللباقة ؟»

فيجيبها : «إنما هى انعكاس لذكاء أمى».. ثم يضيف أن أباها قد وافق على أن يزوجه إياها .. ويستطرد قائلا : «وسأجعل من «كاتارينا» الشرسة كاترينا أليفة كأية ربة بيت ! .. هاهوذا أبوك قادم فلا تعربى عن رفض ، فإنى قد عقدت العزم على أن تكون كاتارينا زوجة لى .. ولسوف تكون !»

ويدخل الأب المكان ، فتقول الفتاة له : «أى حنان أبوى أظهرته إذ رغبت فى أن تزوجنى من شبه معتوه !؟»

فينبرى «بتروكيو» قائلا لأبيها : «هاك جلية الأمر يا أبى : إنك وجميع الناس قد تكلمتم عنها بغير الحق .. أما أنا فقد استطعت أن أفهمها ، وسرعان ما انسجمنا وتلاءمنا لدرجة تجعلنا نحدد يوم الأحد موعدا للزفاف !»

فتقول كاترينا : «لئن أراك مشنوقا يوم الاحد ، ايسر عندى من أن أرانى عروسا لك !»

بتروكيو : يا لك من محبة للدعابة .. أقول لكم إنكم لن تتصوروا مبلغ حبها لى ، «كيت» اللطيفة الحنون ، أرق نساء الأرض جميعا ! لقد تعلقت برقبتى وراحت تمطرنى بالقبلة تلو القبلة .. وتقسم محتجة ، اليمين بعد اليمين ، إننى قد ظفرت بحبها الأبدى .. أعطينى يدك يا كيت : أعاهدك أن أسافر توا إلى فينيسيا لأعد ما يلزم ليوم الزفاف !

ويبارك الأب هذا القرار .. ولا يلبث «ترانيو» ـ متحلا شخصية «لوتشنتيو» ـ أن يسحر الأب بحديثه عن ثراء أبيه «فنشنتيو» ، حتى يتغلب على «جريميو» فيزيحه عن طريق «بيانكا» .. وبذلك يخلو له الجو !

الفصل الثالث

□ ويحين يوم الزفاف ، ولكن «بتروكيو» يتأخر فى الحضور إلى دار «بابتيستا» ، فإذا الرجل قلق ، مضطرب ، يتحدث عن العار الذى سوف يلحق بأسرته ، ولكن «كاتارينا» تقول :

ـ إنما العار عارى وحدى ، فلسوف تشير الدنيا كلها إلى «كاتارينا» المسكينة وتقول : «ها هى ذى عروس «بتروكيو» المجنون .. تنتظره ليتزوجها حين يحلو له !

ويظهر «بتروكيو» أخيرا ، مرتديا قبعة جديدة ، وعباءة قديمة ، وثوبا لركوب الخيل أصابه البلى .. وفى قدميه ، حذاءان متباينان ، أحدهما له رباط ، والآخر له

حزام .. وقد تمنطق بسيف علاه الصدأ ، وبدا جواده مغبرا هزيلا مثله ..
ويهتف بابتيستا : «ما هذا يا سيدى .. إنك لتعرف أنه يوم زفافك !» ..
ويهيب به «ترانيو» وهو فى شخصية «لوتشنتيو» : «لا تلق عروسك بهذه الثياب المزرية .. اذهب إلى حجرتى ، وانتق من ثيابى ما يناسبك»
ولكن الشاب الثرى يقول : «لست أنا الذى يفعل ذلك ، ولن ألقاها إلا على هذه الحال .. إنها ستزف إلى وليس إلى ثيابى !»
وفى الكنيسة يهين «بتروكيو» القس ! .. وما أن تنتهى مراسم الإكليل حتى يأمر بالخمر أن تقدم ، ويقبل عروسه قبلة يتردد صداها فى أرجاء الكنيسة .. ويروح يسب ويصخب .. حتى إذا عاد إلى دار حميه مع عروسه ، أبى أن يبقى حتى تنتهى وليمة العرس ، بل نراه يصر على الرحيل ، فتقول كاتارينا : «افعل ما شئت فلست براحلة اليوم .. أيها السادة ، هيا إلى المائدة .. فإنى أعتقد أن الزوجة التى لا تملك قوة المقاومة خليقة بأن تعتبر غبية حمقاء !»
ويهتف «بتروكيو» : **«أطيعوا العروس وهيا إلى المأدبة ، وكلوا واشربوا ، وتحرروا من قيود العقل وامرحوا .. وإن شئتم فاشنقوا أنفسكم .. أما جميلتى «كيت» فستصحبنى .. لا ، لا تحملقوا ، ولا تدق الأرض بقدمك .. سأبسط سيادتى على ما هو لى .. إنها كل ما أملك .. إنها بيتى ، وحقلى ، وصومعة غلالى ، وجوادى ، وثورى ، وبغلى ، وكل شىء لدى .. وإنها لتقف أمامكم ، فليجرؤ أحدكم على أن يلمسها .. سأنزل نقمتى على من يجرؤ على أن يعترض طريقى فى «بادوا» .. لا تخافى يا صغيرتى ، فلن يمسك أحد .. وإنى لكفيل بأن أذود عنك مليونا من الناس !»**
وينصرف بها .. بينما يلتفت «جريميو» إلى «بيانكا» فتقول له : «إن كيت مجنونة .. ومروضها أكثر جنونا !»

الفصل الرابع

□ ونبقى فى (بادوا) لنشهد «بيانكا» وقد استمرأت دراسة الشعر على «لوتشنتيو» ، ففضلته على «هورتنسيو» وقربته اليها .. بينما يعمل «ترانيو» على أن يصرف الأخير عن السعى لنيل الفتاة . ويحبذ له الزواج من أرملة غنية !

أما بتروكيو وكاتارينا . فلا يلبثان بعد رحلة أليمة أن يبلغا دار «بتروكيو» الريفية . ومنذ أن يهبطا بها لا يكف العريس عن الصخب والصياح فى خدمه .. حتى إذا أعدوا مائدة العشاء ، لم يحجم عن أن يرميهم باللحوم قائلا أنهم أحرقوها .. متعمدا أن يبدو فظا ، عنيفا ، شرسا ، حتى لا يدع لكاتارينا فرصة تبدى فيها روحها المتمردة !

وإذ يؤوبا إلى مخدعهما . يلاحظ خطأ فى إعداد الفراش فيدع كاتارينا جالسة طيلة الليل على مقعد . إذ يأبى أن تنام عروسه فى فراش لم يعن بإعداده !.. وهكذا . يشرع فى ترويضها .. فلا يدع لها سبيلا إلى النوم ، إذ يروح يعدد أخطاءها ويحاسبها عليها .. ويحبس عنها الطعام ، فتتوسل إلى «جرميو» ـ وهو لا يزال متحلا دور تابع له ـ شاكية مر الشكوى من أن «بتروكيو» يزداد غلظة كلما اكتشف خطأ لها . وتقول :

ـ أتراه تزوجنى ليميتنى جوعا ؟.. إن المتسولين كانوا إذا جاءوا إلى باب أبى يسألون إحسانا . لا يردون خائبين .. ولكننى قط لم أتعود أن أتوسل .. إننى أوشك أن أموت جوعا ، ولا أكاد أقوى على الاحتفاظ بتوازنى لفرط حاجتى إلى النوم . إذ يستبقينى بشتائمه مسهدة ، وكأنه بالشجار يغذينى ، ويثيرنى أكثر من كل شيء آخر .. إنه يفعل ذلك باسم الحب الصادق !

وأخيرا . يسمح «بتروكيو» لها بأن تنال قسطا ضئيلا من الطعام ، ويأخذ فى

الحديث عن العودة إلى (بادوا) والنزول فى دار حميه .. ويدعو حائكا وبائع «خردوات» ليعرضا عليه ما طلب إعداده من ثياب وزينة لزوجته فى رحلتها المقبلة ، ولكنه لا يكف عن انتقاد كل ما يعرضان : يريه التاجر قبعة فيقول إنها صغيرة ويطلب أخرى كبيرة ، فإذا ذكرت كاتارينا أن صغر حجمها من ميزات تطور الزى «المودة» قال لها أمام الحائك والتاجر ، ان «المودة» للمهذبات ولن تكون لها قبعة صغيرة إلى أن تصبح مهذبة !

ويتحول إلى الحائك فيوسع الثوب الذى أعده لكاتارينا انتقادا ، ويصيح فيه : «أى اسم شيطانى تطلقه على هذا الشيء ؟»

ويقول الرجل : «ولكنك أوصيتنى بأن أعد الثوب وفقا للزى الشائع فى هذه الأيام !»

وتقول كاتارينا : «لم أر ثوبا يفوق هذا حسنا وتفصيلا .. أتريد أن تجعلنى مسخا ؟»

وفى خبث ، يتعمد «بتروكيو» أن يأخذ كلامها على أنه موجه إلى الحائك فيقول : «حقا .. إنه يريد أن يجعلك مسخا .. اغرب أيها الوغد !»

ويتحول بعد ذلك إلى كاتارينا قائلا : «سنذهب إلى أبيك ياكيتى ، ولو فى هذه الثياب المتواضعة .. فإن بدت ثيابنا فقيرة المظهر ، إلا أن أكياسنا ستنتفخ زهوا بما يملؤها من مال .. كما أن العقل هو الذى يضفى على الجسد ثروة .. والشرف يطغى على كل ضعة !»

وفى تلك الأثناء يكون «ترانيو» قد عثر فى (بادوا) على غريب أقنعه بأن ينتحل شخصية «فنشنتيو» ـ والد «لوتشنتيو» ـ وأن يقر التدابيرات التى اتخذها «ترانيو» ـ منتحلا شخصية سيده ـ ويقنع بابتيستا بالموافقة على زواج ابنته «بيانكا» من «لوتشنتيو» !

الفصل الخامس

□ **أما وقد وافق بابتيستا على زواج ابنته الصغرى ، فإن «لوتشنتيو»** ــ الحقيقى : لا خادمه ــ يبادر إلى عقد قرانه عليها فى الخفاء .. ولا يلبث أن يصل إلى «بادوا» أبوه ــ فنشنتيو الحقيقى ــ فما أن يرى «ترانيو» فى ثياب ابنه منتحلا شخصيته ، حتى يتملكه الجزع ، ويخال أن ابنه قد اغتيل غدرا ..

وإذ يتأزم الموقف ، يضطر «لوتشنتيو» إلى الظهور والاعتراف بكل ما حدث ، فيغفر له ابوه ويغفر بابتيستا لابنته «بيانكا» ويباركان زواجها ..

ويصل «بتروكيو» مع «كاتارينا» التى أظهرت خلال الرحلة كل خضوع وطاعة لزوجها . بل وأصبحت تحبه !

ويدعى الزوجان ، و «هورتنسيو» وزوجته الأرملة الثرية ، إلى مأدبة فى دار «لوتشنتيو» و «بيانكا» .. وما أن يفرغ الجميع من تناول الطعام ، وترفع المائدة ، حتى تجتمع السيدات فى حجرة .. ، ويخلو الجو للرجال .. ومن الطبيعى أن يحاول القوم أن يتعرفوا مدى ما كان من أمر «بتروكيو» مع كاتارينا الشرسة الجامحة .. ولا **يكاد أحد أن يصدق الشاب وهو يؤكد فى اعتداد أنه قد أفلح فى أن يروض زوجته ويجعلها أليفة ذلولا ! .. ويتحداهم ــ وهو واثق من فوزه ــ أن يقارنوا بين طاعة كاتارينا له ، وطاعة كل من بيانكا والأرملة الغنية لزوجيهما ! .. ويصدع الاقتراح من «لوتشنتيو» فيقدم مائة «كراون» ــ وهو نوع من العملة ــ لمن يثبت أن زوجته أكثر طاعة من كاتارينا !**

ويدعو الأزواج الثلاثة زوجاتهم .. فلا تحفل بيانكا والأرملة بتلبية الدعوة ، بينما تخف كاتارينا إلى حيث جلس الرجال ، وتقول لبتروكيو : «هل تبغى منى شيئا يا سيدى ؟» .. فيجيبها متسائلا : «أين أختك وزوجة هورتنسيو» ؟

ـ إنهما تتجاذبان أطراف الحديث إلى جانب مدفأة قاعة الجلوس ..

ـ اذهبي فادعيهما ، فإن أبتا الحضور ، فادفعيهما دفعا إلى زوجيهما !

وتخرج كاتارينا ، ثم لا تلبث أن تعود مصطحبة بيانكا زوجة هورتنسيو .. وإذ ذاك يقول لها «بتروكيو» مشيرا إلى القبعة الواسعة التي كان قد اضطرها إلى ارتدائها : «هذه القبعة لم تعد تلائمك يا كاتارين ، فاخلعيها وألقى بها تحت قدمك»

وتصدع كاتارينا لرغبته ، فتهتف زوجة هورتنسيو : «جنبني يا إلهي أي سبب يدفع بي إلى مثل هذا المسلك !»

وتقول «بيانكا» : «هراء !.. أي غباء هذا الذي تزعمونه واجبا ؟».. فيقول «لوتشنتيو» : «وددت لو كان لك هذا الغباء في إدراك الواجب . فإن حكمتك يا «بيانكا» قد كلفتني مائة «كراون» مذ فرغنا من العشاء !

ـ وهذا دليل جديد على الغباء .. إذ كيف تراهن على فهمي للواجب ؟

فيلتفت «بتروكيو» إلى «كاتارينا» قائلا : «إنني أعهد إليك يا كاتارينا بأن تخبري هاتين العنيدتين بما تدينان به من واجب نحو سيديهما وزوجيهما»

فتقول زوجة هورتنسيو : «مهلا .. لسنا بحاجة إلى إرشاد» .. ولكن «كاتارينا» تقول : «حلى عقدة هذا الجبين العابس ، ولا تبعثي من عينيك نظرات الازدراء التي تجرح مولاك ومليكك وحاكمك .. إنها تفسد جمالك كما يتلف الصقيع البستان .. وتعصف بسمعتك كما تعصف الزوابع بالبراعم الرقيقة .. والمرأة المنفعلة لا يمكن أن تحتمل أو تحب بحال من الأحوال .. فهي كبركة الماء إذا اضطرب ماؤها ، تبدت موحلة ، شوهاء المنظر ، عديمة الجمال !

«إنما الزوج مولاك .. هو الذي يرعاك ويعني بأن يعولك .. يعرض جسده للعمل الشاق ، في البحر والبر على السواء .. يتأمل الليل وسط الزوابع ، والنهار في البرد القارس ، بينما تنامين ناعمة بدفء بيتك ، آمنة سليمة .. دون أن يصبو

إلى جزاء منك . اللهم إلا الحب . والوجه البشوش ، والطاعة الحقة

«إننى لأخجل إذ أرى النساء من الجهل بحيث يثرن الحرب حيث ينبغى أن يسجدن من أجل السلام .. أو يسعين ليكون لهن السلطان والسيطرة والكلمة العليا . فى حين يحق عليهن أن يبذلن الخدمة . والحب ، والطاعة .. لقد كان لى من الفكر ما يضارع فكر أى منكما كبرا . وكان قلبى فى سعة قلب أى منكما ، ولعلنى كنت أكثر منكما عقلا ، وأقدر على أن أرد الكلمة بكلمة . والعبوس بعبوس .. ولكننى الآن أصبحت أرى أن حرابنا ليست سوى أعواد من القش .. وأن قوتنا ليست سوى ضعف يتجاوز كل وصف ..»

* * *

□ وهنا تنتهى المسرحية .. وتبقى المسرحية الأخرى .. الإطار الخارجى . «دهليز» المسرحية ، أو المقدمة .. فنحن بعد لم ننس «سلاى» السكير الفقير الذى شاءت نزوة أحد اللوردات أن تجعله «لوردا» لفترة وجيزة ، كى يتسلى برؤية ما يكون من تصرفاته !

ونحن قد تركناه قبيل الفصل الأول وهو يجلس إلى جوار الحسناء التى زعموها زوجته ، يشهد المسرحية الفكهة التى تمثلها الفرقة التى يستضيفها اللورد ، دون أن يكون له فيها دور يذكر ، اللهم إلا بعض تعليقات أخذ يدلى بها وهو لا يكف عن الشراب .. حتى يثمل ويفقد رشده ، وإذ ذاك يأمر اللورد الحقيقى بأن يدثر بثيابه ، ثم يحمل إلى البقعة التى التقط عندها .. وهناك يترك وهو يغط فى سباته حتى يوقظه الخمار .

ويصحو «سلاى» فيهتف : «إلى بمزيد من النبيذ .. هل ذهب جميع الممثلين ؟»

ويفطن إلى ثيابه وما حوله ، فيهتف : «ألست لوردا ؟»

فيصيح به الحمار : «تنبه.. أما زلت ثملا؟»

ـ من هذا؟.. الحمار !؟.. أواه ، لقد غشيني الليلة حلم ما أظنك رأيت مثله طيلة حياتك؟

ـ فليكن .. بيد أنه يحسن بك أن تسعى إلى دارك ، فإن زوجتك لن تغتفر لك إن قضيت ليلتك تحلم هنا !

فيصيح سلاى : «حقا؟.. إننى أعرف الآن كيف أروض الشرسة المتنمرة .. فقد قضيت الليل أحلم بذلك ، حتى أيقظتنى من خير حلم رأيته فى حياتى .. وسأطبقه على زوجتى فى الحال فأروضها هى الأخرى .. حتى إذا أغضبتنى ..»

ـ على رسلك يا «سلاى» .. سأصحبك إلى البيت وأسمع منك قصة حلم الليلة ..

ويخرجان .. وتسدل الستار

مطبوعات كتابى

التى قدمت لك كتاب (لكل فنان قصة) والكتب الأخرى من سلسلة « الأدب المحلى » تقدم لك قريبا فتحا جديدا فى عالم النشر وفى مجال الأدب المسرحى

النص الكامل للتراث الكامل للفنان خالد الذكر

نجيب الريحانى

تقرأ فى هذه السلسلة الجديدة من مطبوعات كتابى أشهر روايات الريحانى التى شاهدتها وصفقت لها

النص الكامل لحوار كل مسرحية فى كتاب كامل مستقل

الدلوعة لو كنت حليوة

إلا خمسة حكم قراقوش

أحب حماتى ٣٠ يوم فى السجن

وغيرها . .

المنـــــافق !

| طـــرطوف |

مولييــر

TARTUFFE

Par

MOLIERE

المؤلف

«شكسبير فرنسا»

١٦٢٢ ـ ١٦٧٣

□ كانت حياة موليير مليئة بعنصر المأساة كقصة أية مسرحية من رواياته ! .. فان ابن «منجد» القصر الملكي الميسور الحال قد اضطرته نزعته الفنية الى الفرار من بيت أبيه كي ينضم الى فرقة مسرحية جائلة ، ضاربا «بمجد» البلاط الملكي عرض الحائط !.. لكن الممثل الجائل صار مع الأيام يؤلف الروايات التى يمثلها ، ويرعى شئون فرقته ، حتى استقر بها فى باريس وجعل منها الفرقة المسرحية الأولى فى العاصمة الفرنسية ، كما جعل من نفسه «شكسبير فرنسا»!.. ثم بسط عليه الملك لويس الرابع عشر رعايته . وأغدق عليه المال والنياشين .. لكنه ضن عليه بتقديره الأدبى و«احترامه» ، فظل ينظر اليه لا باعتباره كاتبا مسرحيا موهوبا ، وانما باعتباره «مهرجا» ، مهمته أن يضحك الملك !

وأحب موليير الممثلة الأولى فى فرقته ـ «أرماند بيجار» ـ ثم تزوج منها .. وكانت تلك مأساة حياته ، فقد كان فى عمر أبيها .. بل لقد قال البعض انه كان أباها بالفعل ، فقد كانت امها «مادلين» خليلته فى شبابه الباكر !.. وأيا كانت حقيقة الصلة بين الزوجين ، فالمؤكد انهما لم يعرفا السعادة الزوجية فى حياتهما المشتركة .. واذا كانت مسرحيات موليير مليئة بمشاهد الخلافات والشجار بين الأزواج ، فقد كانت تلك المشاهد مستوحاة من واقع حياته البيتية ذاتها !

وهكذا ، مثله مثل «المهرج» فى أوبرا «بلياتشى» ، عاش موليير يتألم ويضحك ! وكلما ازدادت حياته كآبة ، علا ضجيج ضحكاته وتألق !.. ومات ثلاثة من أولاده الأربعة .. وفى الليلة السابقة لوفاة ابنه الثالث ، حدث شجار فى

المسرح ألقيت فيه الأحجار على الممثلين وأصيب موليير نفسه بأذى .. ثم فقد حظوته لدى الملك .. وأشاع خصومه أن زوجته كانت على صلة بشقيق الملك ! .. فانهارت صحته نتيجة لكل هذه الكوارث .. ثم كانت النهاية الفاجعة لحياته التعسة !

* * *

شخصيات الرواية

طرطوف : أحد رجال الدين	Tartuffe
أورجون : صديق له يضيفه في بيته	Orgon
المير : زوجة أورجون	Elmire
دامي : ابن أورجون	Damis
ماريان : ابنة أورجون	Mariane
دورين : خادمة البيت	Dorine
كليانت : شقيق زوجة أورجون	Cléante
فالير : خطيب ماريان	Valère
المحضر : من رجال المحاكم	Bailiff

مكان الرواية : فرنسا

زمان الرواية : القرن السابع عشر

* * *

- ١ -

☐ **ترفع** الستار عن الفصل الأول ، فاذا رب الأسرة المدعو «أورجون» قد أنزل «طرطوف» من نفسه ومن بيته منزلة رجل الدين «القديس» !.. فهو يثق فيه ثقة عمياء ، ويثور على أهل بيته غاضبا اذا مس أحدهم «طرطوف» بكلمة أو قال فيه قولة سوء !

لكن أهل البيت جميعا لا يشاطرون عميدهم مع ذلك رأيه .. فان زوجته «الميرا» ، وابنه «دامى» ، وابنته «ماريان» ، وشقيق الزوجة المدعو «كليانت».. كلهم يرون فى طرطوف منافقا زنديقا !.. حتى خادمة البيت «دورين» تعلم حقيقة خلق الضيف الكبير — وقد كان لديها من الأسباب ما يبرر هذا العلم !!

وخلال فترة غياب أورجون عن المدينة لبعض أعماله ، يجيد طرطوف تمثيل شخصيته المتناقضتين : شخصية الواعظ الذى يرتدى مسوح القديسين الاطهار .. وهو فى حقيقته رجل متهالك على متع الدنيا فى شراهة ونهم !

فاذا عاد رب البيت من سفره رأيناه يبادر الخادمة حين يراها بالسؤال عن أفراد الأسرة جميعا ، وفى مقدمتهم ضيفه العزيز طرطوف :

أورجون : كيف حال الجميع ؟

دورين : كانت زوجتك أول أمس مصابة بحمى وصداع شديد ..

أورجون : وكيف حال طرطوف ؟

دورين : طرطوف ؟ انه كعهدنا به قوى سمين !

أورجون : يا للرجل المسكين !

دورين : لقد كانت سيدتى تشكو ألما فى رأسها ، ولم تستطع أن تتناول طعاما على الاطلاق طيلة النهار ..

أورجون : وطرطوف؟

دورين : التهم فى عشائه فخذ ضأن وزوجين من طيور القطا !

أورجون : يا للرجل المسكين !

دورين : لم تستطع سيدتى أن تنام أو يغمض لها جفن طول الليلة من فرط الحمى التى أصابتها ..

أورجون : وطرطوف ؟

دورين : غادر مائدة العشاء الى مخدعه حيث ظل يردد شخيره العالى حتى الصباح !

أورجون : يا للرجل المسكين !

دورين : وأخيرا لجأ الطبيب الى فصد كمية من الدم من سيدتى ، وعندئذ فقط استراحت ..

أورجون : وطرطوف؟

دورين : لكى يعوض الدم الذى فقدته سيدتى ، جرع مع افطاره أربع (فياسكات) ضخمة من النبيذ !

أورجون : يا للرجل المسكين !

دورين : أرجو أن يأذن لى سيدى بالذهاب لابلاغ سيدتى بمدى غبطته لاستردادها عافيتها من جديد !

☐ **ولا يتنبه الغرير** الى السخرية التى تنطوى عليها عبارة الخادم .. فيمضى فى تمجيد ضيفه طرطوف ، موجها الحديث الى شقيق زوجته المدعو كليانت : «آه لو عرفته فقط أيها العزيز ! انه رجل من أولئك الذين .. أعنى انه .. رجل ! لقد نفرتنى أحاديثه من كل حب دنيوى ، بحيث بت أستطيع أن أرى أخى ، وأولادى ، وزوجتى ، وأمى ، يموتون جميعا أمام عينى دون أن أذرف عليهم

دمعة !.. عندما رأيته لأول مرة ، فى الكنيسة ، أحسست اننى أمام رجل الهى . كان راكعا على كلا ركبتيه يصلى بحرارة استرعت انتباه الحاضرين جميعا .. وحين غادرت الكنيسة هرع يتقدمنى كى يباركنى بالماء المقدس عند الباب !.. وعندما نفحته بعطائى وزع جزءا منه على الفقراء والمعوزين .. ثم دعوته الى الاقامة فى منزلى ـ وكان ذلك الهاما من السماء ! ـ ومنذ ذلك اليوم سارت أمورنا جميعا على خير ما يرام .. بل إنه يجعل من نفسه رقيبا يسهر على عفة زوجتى ، حتى ليغار عليها أضعاف غيرتى أنا !.. إنك لا تستطيع أن تتصور مبلغ تزمته فى تدينه وتقواه .. هل تصدق اننى سمعته يوما يوبخ نفسه لأنه قتل برغوثة صغيرة !؟

كليانت : إنك يا أخى توقره إلى درجة الجنون !

أورجون : وأنت تكفر به إلى درجة الإلحاد !

كليانت : لست ملحدا .. انما أنا أفرق فقط بين التقوى الحقيقية والنفاق .. ان طرطوف قد اتخذ من الدين تجارة .. انه يبيع صلواته المزيفة بالذهب الخالص !

أورجون : أو جاد أنت ؟

كليانت : كل الجد !

أورجون : اذن طاب يومك !

ـ ٢ ـ

□ **فاذا كان الفصل الثانى** علمنا ان ابنة أورجون ، المدعوة «ماريان» ، غارقة فى حب الفتى «فالير».. لكن أباها يزمع أن يزوجها من طرطوف !.. وبدافع من اخلاص الخادم «دورين» لسيدتها الصغيرة تعمد الى الاختباء فى دولاب بالغرفة كى تنصت الى حديث الأب والابنة :

أورجون : يا ابنتي ، لقد اعتزمت أن أضم طرطوف الى شجرة عائلتي .. انه سوف يصبح زوجا لك .

ماريان : إنك تمزح يا أبي ؟

اورجون : بل إني لم أكن جادا يوما مثلي الآن ..

ماريان : لكنك وعدت يا أبي بتزويجي من فالير !؟

أورجون : هذا صحيح يا ماريانه، لكني لا أميل الى فالير ، انه لا يتردد على الكنيسة بانتظام .

دورين (الخادم ، تخرج من مخبئها) : تعني انه ليس منافقا !

أورجون : كيف تجرئين على التجسس علينا ؟

دورين : وكيف تجرؤ أنت على التضحية بابنتك ؟

أورجون : لست أطلب رأيك فى الموضوع !

دورين : انى أتكلم من أجل صالحك يا سيدى .

أورجون : آمرك أن تمسكي لسانك !

دورين : انها تكون خطيئة منك أن تزوجها لطرطوف .

أورجون : ولا كلمة أخرى : أتسمعين؟

دورين : حسنا جدا يا سيدى ، من الآن فصاعدا سوف أضمر احتقارى فى نفسى بدلا من الافصاح عنه !

□ **ولكن** ، بالرغم من كل ما قد تقوله دورين أو تفكر فيه ، فقد صح عزم أورجون وانتهى الأمر : سوف تتزوج ماريان من طرطوف .. وليست لدى ماريان الشجاعة على الرفض ، فلا تكاد تنفرد بخادمتها دورين حتى توبخها هذه على جبنها :

دورين : أو تطيعين أباك حتى لو طلب اليك الزواج من قرد ؟

ماريان : وماذا فى وسعى أن أفعل؟

دورين (فى احتقار) : ماذا تفعلين؟ لا شىء .. ارضخى للأمر الواقع وصيرى زوجة لطرطوف !

ماريان : بربك كفى عن اغاظتى يا دورين .. اخبرينى كيف أخرج من هذه الورطة !

دورين : لا تقلقى يا طفلتى ، فسوف نجد وسيلة للخلاص . انى واثقة من ذلك .. ولكن ، ها هو فالير قادم .

□ **يدخل** فالير غاضبا ، فقد سمع لتوه ان ماريان وعدت أباها بأن تتزوج من طرطوف ! وينشب شجار مفعم بالحنق بين الحبيبين ، فاذا فالير يهدد بهجر ماريان ، وماريان تودعه على هذه النية !

فالير : تذكرى انك أنت التى ألجأتنى الى هذه القطيعة **(يتأهب للرحيل)** .

ماريان : لا شك فى ذلك .. حذار أن تنسى .

فالير (يستدير اليها) : انى انما أطيع رغباتك ..

ماريان : أعلم ذلك .

فالير (يتجه الى الباب) : هذا هو لقاؤنا الأخير .. وداعا !

ماريان : وداعا !

فاليرا (يستدير) : ماذا تقولين؟

ماريان : أنا؟ لم أقل شيئا !

فالير : حسبتك ناديتنى ثانية ..

ماريان : لابد انك كنت تحلم !

فالير : حسنا .. اذن ، فقد انتهى كل شىء **(يتجه فى بطء نحو الباب)** .

دورين : أعتقد أنكما كليكما قد أصبتما بالجنون ..

□ **وتقبض** على ذراعي العاشقين ، فيتظاهران بمقاومتها جديا ، حتى تضطر إلى جذب كل منهما بدوره نحو الآخر .. وأخيرا ، تفلح فى جعلهما يتصافحان .. ثم يذوب خلافهما ويتبخر على حرارة عناق العاشقين !

دورين : يا لهما من شابين غريبى الأطوار ! منذ برهة كنت عاجزة عن التقريب بينهما .. والآن أنا عاجزة عن تفريقهما !

ـ ٣ ـ

□ **فاذا** كان الفصل التالى رأينا «دامى» ـ ابن أورجون من زواج سابق ـ مشوقا الى فضح نفاق طرطوف !.. ولكى يصل الى غايته ويحصل على البرهان الكافى لهذا الغرض ، نراه يعمد الى الاختفاء فى دولاب كى يرقب غريمه :

ويدخل طرطوف الحجرة ، فيجد «دورين» فيها .. واذ ذاك يتناول منديلا من جيبه ويقول لها بصوت يقطر خبثا :

طرطوف : غطى ثدييك بهذا المنديل .. فان منظرا آثما كهذا يصدم روحى !

دورين : أو هكذا أنت قابل للغواية ؟ أما أنا فلست ضعيفة الى هذا الحد .. فى وسعى أن أراك عاريا من قمة رأسك الى اخمص قدمك دون أن تراودنى الغواية !

طرطوف : لن أبدد مزيدا من الكلمات مع مخلوقة عديمة الحياء مثلك .. وانما أنا أبغى أن أتحدث الى سيدتك «المير»

دورين : انها قادمة حالا لتراك وتحدثك فى شأن ماريان ..

□ **وحين** تدخل المير ، تغادر دورين الحجرة .. لكن دامى يظل مختبئا فى الدولاب :

طرطوف : هل أبللت من مرضك ؟

الميرِ : تماما ، أشكرك .. لقد جئت أتحدث اليك ، على انفراد .

طرطوفِ : سيدتى ، انه ليسعدنى ويستخفنى أن أجد نفسى وحيدا معك !

□ **ويجلس** بجوارها ويضع راحته على ركبتها :

الميرِ : ماذا تفعل يدك هنا ؟

طرطوفِ : تبدى اعجابها بثوبك .. ان قماشه ناعم للغاية !

الميرِ : ارفع يدك ، أرجوك ، فانى شديدة الحساسية ..

طرطوف (يصلح من وضع طرف ثوبها) : يا لها من بضاعة رائعة !

الميرِ : نعم ، رائعة للغاية .. لكنى جئت أحدثك بشأن ماريان . هل صحيح انك تدبر الأمر كى تتزوج منها ؟

طرطوف (يغمز لها) : أوه ، كلا يا سيدتى .. ان قلبى متعلق بهدف آخر !

الميرِ : أفهم قصدك جيدا . ان قلبك متجه الى السماء .

طرطوف : لقد وجدت على الأرض صورة مطابقة للسماء .... أواه يا سيدتى ، اننى أسير حسنك السماوى !

الميرِ : يا للعار ! .. من رجل تقى مثلك !

طرطوف : رغم تقواى ، فأنا آخر الأمر بشر !

الميرِ : وماذا لو وشيت بك لزوجى ؟

طرطوف : انك أكرم من أن تفعلى .. حسبك أن تنظرى الى صورتك فى المرآة كى تقدرى مبلغ اغرائك ، وتعذرينى !

□ **وتقبل** المير أن تخفى هذا السر عن زوجها ، بشرط واحد : أن يعاونها طرطوف بكل ما فى وسعه على اتمام زواج ماريان من فالير !

لكن «دامى» ــ الذى رأى المشهد بأكمله من مخبئه داخل الدولاب ــ يوطن النفس على أن يبوح بالقصة كلها لأبيه ، بغير ابطاء !

ويصغى أورجون لابنه وهو يروى القصة ، ثم يطرده من البيت .. فانه لا يصدق سوءا فى «القديس» طرطوف !

طرطوف (**يخر راكعا على ركبتيه**) : اغفر لابنك ، استحلفك .. انه لا يعلم ماذا يفعل !

دامى : لا تدع هذا الكلام المعسول يخدعك يا أبى .

أورجون : أغرب عن وجهى حالا ! انى أحرمك من الميراث وأطردك محملا بلعناتى .. ومنذ هذه اللحظة صار طرطوف ابنى ووريثى !

طرطوف (**فى تعبد وخشوع**) : فلتكن مشيئة السماء ، فى كل شيء !

- ٤ -

□ **ويحاول** كليانت أن يهيب بطبيعة طرطوف الأفضل :

كليانت : كيف تسمح لأورجون بأن يطرد ابنه من البيت ؟ إذا استمعت لنصيحتى فلتعمل على اعادة «دامى» إلى بيت أبيه . وبذلك تتجنب فضيحة كبرى !

طرطوف : بودى من كل قلبى لو استطعت أن أخدمه .. لولا أن ذلك ضد مشيئة السماء !

كليانت : ولم تضع على عاتقك الإضطلاع بقضية السماء ؟

طرطوف : وهل أنا غير آلة متواضعة فى يد الله ؟ لقد ناطت بى السماء أن أنقذ ضيعة أورجون من الايدى الملوثة ..

كليانت : ان لك لطريقة «دينية» فى سرقة الناس !

طرطوف : استأذنك يا سيدى فى الانصراف ، فقد حان وقت واجباتى المسائية !

□ **ويفشل** كليانت فى جهوده لزحزحة طرطوف عن موقفه .. كما تفشل «المير» فى محاولتها التأثير على زوجها أورجون ، وان أفلحت فى اقناعه مع ذلك - على الرغم منه - بأن يراعى مزيدا من التدقيق فى مراقبة طرطوف عن كثب !

المير : وماذا لو وجدت وسيلة أثبت لك بها أن طرطوف وغد دنىء؟

أورجون : هراء ! لا شيء يمكن أن يثبت لى ذلك !

المير : لقد وصمتنى بالكذب المرة بعد المرة .. والآن آن أن ترى الحقيقة بنفسك : اختبىء تحت هذه المائدة وسترى كيف يسلك قديسك طرطوف فى حضرتى حين يحسب نفسه وحيدا معى !

□ **ويرضخ** الزوج ، فيندس تحت المائدة .. بينما يدخل طرطوف :

طرطوف : لقد قالوا لى انك أردت مقابلتى هنا؟

المير : نعم ، لقد فكرت فى تلك الكلمات الملتهبة التى قلتها لى ..

طرطوف : آه يا سيدتى ، هل أنت مستعدة لأن تصغى إليها الآن؟

المير : ربما

طرطوف : ان حبك يا سيدتى هو الفكرة الوحيدة التى تغمر قلبى بالغبطة .. فما أسعد هذا القلب لو أعطيتنى دليلا ايجابيا على حبك !

المير : ولكن كيف أمنحك ما تطلب دون اغضاب السماء؟

طرطوف : لا تخشى شيئًا فى هذا الشأن ، فانى عليم بأساليب السماء : اذا ظل حبنا سرا ، فإن السماء نفسها سوف تغمض عينيها ! .. ان الخطيئة التى ترتكب سرا لا تحسب خطيئة على الاطلاق ..

المير : ولكن ، ما قولك فى زوجى؟

طرطوف : انه رجل يستطيع كلانا أن يقوده من أنفه !.. والآن ، حان لنفسي المتشية أن ..

□ ويهم المنافق بتقبيل الزوجة ، حين يخرج له الزوج من مخبئه :

أورجون : حنانيك يا قديسي العزيز !.. اذن فقد رسمت خطتك على أن تتزوج من ابنتي ، وتنال زوجتي؟!

طرطوف : ماذا؟ أو صدقت حقا أني ...

أورجون : كفاك نفاقا ، أرجوك .. ولتغادر هذا البيت في التو واللحظة دون إثارة ضجيج !

طرطوف : إنك أنت المطالب بأن تغادر هذا البيت ... فإنه الآن مملوك لي !

□ وفي جرأة وتحد يبرح الغرفة ، بينما يتهالك أورجون على أحد المقاعد وقد حطمته الصدمة : فإنه في نوبة غضبه على ابنه «دامي» قد وهب طرطوف ملكية البيت وجميع ملحقاته !.. وليت هذا كان كل شيء ، فهناك سبب آخر يفزع أورجون ويدخل على قلبه الذعر المروع :

المير : وما هو؟

اورجون : سأذكره لك فيما بعد .. أما الأن فدعيني أرى ما اذا كان ثمة صندوق صغير ما يزال موجوداً في الطابق العلوي؟

□ **كلا** ، فلقد اختفى الصندوق !.. وهو مملوك لصديق أورجون المنفي «ارجاس» ، ويحتوي على مستندات هامة تتوقف عليها حياة ارجاس وثروته ! وكان ارجاس قد عهد بالصندوق الى أورجون ، فتركه هذا في غباء في يد طرطوف .. وهكذا أصبح الأخير الآن في وضع يسمح له ليس فقط بتجريد أسرة أورجون من أملاكها ، بل وباتهامه لدى الملك بأنه قدم العون والمساعدة إلى رجل من الثوريين !

□ **ويستغل** طرطوف الموقف إلى أقصى حدوده .. فيبدأ بإرسال محضر قضائي إلى بيت أورجون :

المحضر : لا تزعجوا أنفسكم أيها السادة ، على الأقل لا تزعجوا أنفسكم اليوم .. ولكن عليكم أن تخلوا البيت غدا .. فإذا تكرمتم الآن بتسليمى مفاتيحه ، سمحت لكم بأن تأووا إلى مضاجعكم .. وتمنيت لكم جميعا أطيب الأحلام .

أورجون : انى على إستعداد لأن أدفع مائة «لويس» من الفضة إذا استطعت أن أسدد إليك لكمة واحدة على أنفك !

المحضر : لا تنسى يا سيدى اننى من رجال الضبطية القضائية .. والآن ، طابت ليلتك يا سيدى ، ولتحفظك السماء من الدمار ..

□ **لكن** المصائب تتلاحق واحدة فى اثر الأخرى .. فلا يكاد المحضر يمضى ، حتى يدخل فالير حاملا أنباء سيئة :

فالير (إلى أورجون) : سيدى ، انك معرض لخطر بالغ ، فلقد اتهمك طرطوف لدى الملك ، والضابط فى طريقه الآن إلى هنا ليلقى القبض عليك !

أورجون : حقا أن الإنسان حيوان شرير .. أعترف بذلك .

فالير : ان السبيل الوحيدة إلى نجاتك هى أن تلوذ فورًا بالفرار !

□ **ولكن** قبل أن يتمكن أورجون من مغادرة البيت ، يصل طرطوف مصحوبا بضابط الملك :

أورجون (إلى طرطوف) : أيها الخائن !

طرطوف : انى أغفر لك اهاناتك ، فلقد علمتنى السماء أن أكون صبورًا متسامحا فى جميع المواقف **(إلى الضابط)** أرجوك يا سيدى ، أد واجبك !

الضابط **(إلى طرطوف)** : حسنا يا سيدى ، فهلا تكرمت بأن تتبعنى إلى السجن ؟

طرطوف : من ؟ أنا ؟

الضابط : نعم ، أنت !. **(إلى أورجون)** أما أنت يا سيدى فتستطيع أن تبدد مخاوفك جميعا ، فلقد أضحت للملك عيون حادة مدققة .. وقد لمس مبلغ نفاق هذا النذل .. وبإتهامه إياك ، إنما أدان طرطوف نفسه .. وقد أمر الملك بإعادة أملاككك جميعًا إليك ، ويمنحك عفوا كاملا عن مساعدتك لصديقك الثورى الذى فى المنفى !

أورجون : شكرًا .. وهنيئًا لزوج ابنتى «فاليز» !.. ولعل طرطوف التعس يعدل عن غيه ، ويعلم أن الخداع الوضيع لا يجدى ولا يثمر !

(ستار)

* * *

فـاوســـت

جـــوته

FAUST

By

J. W. GOETHE

هـذه الملحمـة

.. أما المسرحية الشعرية التى أقدمها لك فيما يلى فهى درة شاعر ألمانيا العظم «جيته» . الذى تطاول مكانته فى الأدب العالمى مكانة شكسبير ! .. وتعتبر (فاوست) من أعظم المؤلفات العالمية التى أنتجها العقل البشرى .. وقد بدأ «جيته» كتابتها وهو فى سن العشرين ، ولم يتم الفصل الأخير منها إلا وهو فى الثانية والثمانين ! .. أى أن تأليفها استغرق منه ـ على فترات متقطعة ـ اثنين وستين عاما ، أنفقها فى التفكير ، والبحث عن الحقيقة ، والسعى إلى المعرفة .. وحين أدركه الموت ، فى الثالثة والثمانين ، كان آخر ما لفظه مع أنفاسه هذه العبارة : «اللهم نورًا .. مزيدًا من النور ! »

وكان «جيته» قد شغف أثناء دراسته الجامعية بفنون السحر وغوامض مؤامرات السحرة فى القرون الوسطى ، فخطر له أن يؤلف منها ومن بعض أحداث حياته الخاصة قصة غير مألوفة .. وهكذا استوحى من حبه الأول ومغامراته مع معشوقته «ليلى» . الجزء الأول من ملحمته هذه ، وهو الجزء الذى يصور مأساة «مرجريت» . ولقائها الأول مع فاوست ، ومشاهد الهوى التى كانت بينهما فى مخدعها ، وفى الحديقة .. إلخ .

أما ميثاق فاوست مع الشيطان ، فقد عنت فكرته لـ «جيته» أثناء رحلة له فى سويسرا ، حيث شاهد إحدى فرق المهرجين الهزلية تمثل مشهدًا من أسطورة قديمة تتلخص فى أن ساحرًا ورث عن عمه ثروة بددها كلها فى اللهو والمجون ، وفى مطاردة السعادة ، دون جدوى .. فلما نفد ماله لم يرجع عن غيه إلى أحضان السلام والتقاء ـ مثل «الأبن الضال» ـ وإنما عقد مع الشيطان ميثاقًا يتيح له أن يحيا منغمسًا فى الملذات أربعًا وعشرين سنة ، يسلم فى نهايتها جسمه وروحه غنيمة سائغة لإبليس !

□ على أن ملحمة «فاوست» لا تستمد عظمتها وخلودها من فكرتها ، وإنما من الأسلوب الذى عالج به «جيته» هذه الفكرة ، فنفخ فيها من عبقريته .. وفلسفته وحكمته .. وسخريته .. ما لن أستطيع أن أنقل إليك منه فى هذا التلخيص المحدود غير النزر اليسير .. وحسبى من هذه الخلاصة أنها قد تغريك يومًا بقراءة الأصل ..

والا فقد ظفرت منها على الأقل بما يروى ظمأك إلى تكوين فكرة مبدئية عن هذا الأثر الشامخ من تراث الفكر البشرى ..

ـ ١ ـ

☐ تبدأ القصة فإذا «الله» و «الشيطان» يتنازعان روح الإنسان ! الخالق يؤمن بمخلوقاته . والشيطان الجاحد يكفر بكل شيء . ويرتاب فى كل شيء . فهو المتشكك الخالد الذى يفضل الفناء على الوجود . ولا يرى معنى «لمسرحية القدر التى لا تنتهى . التى تخلق البشر لكى تهلكهم بعد ذلك !» .. فهو يفضل على الدنيا ذلك الفراغ الدائم الذى بدأ منه الكون رحلته العقيمة خلال الزمان والمكان .. ومن ثم فهو يرى مهمته فى أن يحبط الخليقة وينكر حكمة الله وطيبة البشر :

الله : ألا تجد إنسانًا واحدًا طيبًا على الأرض ؟

مفيستو (الشيطان) : ولا واحد .. البشر جميعًا أشد وحشية من الوحوش !

الله : حتى فاوست ؟

مفيستو : حتى فاوست .. إنه مثل بقية البشر .

☐ ولكى يثبت الشيطان نظريته يعرض على ربه أن يتخلى له عن فاوست فترة كى يجربه : «أعطنى إياه فترة قصيرة وأنا الكفيل بافساد روحه إلى الأبد !»

ويقبل «الله» الرهان . واثقًا بأن الشيطان سوف يخسره .

الله : عندما تثور فى الإنسان شهواته . لا يستطيع إلا أن يخطىء ويضل .. لكنه فى غمار ضلاله فى دجى الليل . يتجه بغريزته نحو النور !

.. فإذا ما قبل الطرفان «الرهان» رأينا الشيطان يهبط إلى الأرض كى يجرب ويمتحن «فاوست» !

ـ ٢ ـ

☐ ليلة عيد الفصح . وقد أوغل الليل .. غرفة كالقبو . يطل القمر من خلال

نوافذها القذرة التى يلطخ التراب زجاجها فلا يكاد يضىء أكوام الكتب والمؤلفات الضخمة القديمة التى تتراكم صفوفها لصق الجدران التى سودها الدخان .. وهنا وهناك يقع ظل القمر على أجهزة فلكية وأوان وأنابيب كيميائية ..وفوق منضدة صغيرة مصباح يضىء وجه رجل فى ثياب العلماء القاتمة الوقورة قد جلس إلى مكتبه يطالع ، بعينين توهجت فيهما نار التحمس للبحث عن الحقيقة .. النار الملتهبة التى لا تشبع ولا تقنع ، ولا تخمد أو تتراجع ، وإنما تظل دائبة على الاستطلاع والبحث عن الجوهر المختفى وراء كل مظهر من مظاهر الكائنات الحية ..

إنه «فاوست» العالم الألمانى العلامة ، الذى اشتهر فى جميع الآفاق بعلمه وطيبته ونزوعه دائما إلى الخير .. لكنه يحس فى ليلة عيد الفصح هذه بفيض من المرارة فى قلبه ، فإن جهاده المتواصل خلال ربع قرن قد أظهر له تفاهة وعقم العلم والمعرفة البشرية ! .. وإن عينيه لترتفعان عن صفحات الكتاب المبسوط امامه كى تجوسا خلال غرفته ـ ذلك المخزن العفن لأبحاث العقل البشرى ـ ! فيسأل نفسه : «**لقد تعمقت فى الفلسفة .. والقانون .. والطب .. والدين .. وأرقت عليها عصارة دراساتى الطويلة بحمية ونشاط وحماسة لا تعرف الملل .. وهأنذا فى النهاية أتبين أنى لا أكاد أعرف شيئًا ، ولا أكاد أصل إلى نتيجة .. وأن معارفى كلها لا تساوى كثيرًا .. ليست سوى قطرة من بحر .. فيا لجهلى وغبائى وحماقتى ! .. هذه هى الفكرة التى تحرق قلبى !** » .. ويحس فاوست أن كل تلك السنوات التى قضاها فى جد وعمل متواصل قد ضاعت سدى .. وإنه بإنفاقه إياها مطمورًا بين الكتب ، غارقا فى دراساته العقيمة ، لم يستمتع يومًا بحياته .. لم يعش ! .. وهو لا يعنى «بالاستمتاع بالحياة» تلك المشاركة فى ملذات الدنيا ، بالحب ، والضحك ، والرقص .. فإن أوان ذلك على أى حال قد انقضى ، وهو الآن قد شاخ .. وإنما هو يعنى ذلك الطريق الآخر إلى الحياة ، إلى المشاركة الداخلية مع

قوى الطبيعة نفسها .. إلى الحياة البشرية السامية . وفق المثل العليا .. وهذا الطريق يرسمه الكتاب الفلكي الذى أمامه «طريقة (نوستراداموس) السحرية» .. وفيما هو يقلب صفحاته . يقف عند رسم بيانى غامض .. وفجأة يخيل إليه أن سر الكون قد انكشف لعقله .. ثم يعود فيدركه اليأس الذى يعقب رؤى التصوف الروحى ، فيعود إلى تقليب صفحات الكتاب .. ومرة أخرى يعصف بصدره أمل جبار ، حين يعثر على علامة ترمز إلى «روح الأرض» ، فلشد ما يتمنى أن يصل إلى فهم أسرار القوة التى تربط بين القلوب البشرية . وتنسج تلك الخيوط المتقاربة التى تسبب الفرح والألم ..!

ويستعين فاوست بعلمه ومعارفه المكتسبة طيلة ربع قرن . فينطق بتعويذة خاصة يستدعى بها إليه روح «الأرض» .. لكنه يفزع حين ينبثق فى الحجرة نور يخطف البصر : تظهر الروح على أثره أمامه .. ثم يتمالك نفسه فيتحدى الروح فى تفاخر ، متاديًا بنفسه ندًا لها .

فاوست : أيتها الروح التى يحيط وجودها بالأرض الواسعة .. كم أحس بالتقارب بين طبيعتى وطبيعتك !

الروح : أيها الإنسان .. إنك مثل المخلوقات التى يستطيع عقلك أن يصورها .. ولست مثلى !

□ثم تختفى روح الأرض كما ظهرت . تاركة صدى كلماتها يدوى فى عقل فاوست ، فيقضى على آخر آماله من الحياة : إنه قد يستطيع ـ إذا بذل أقصى محاولات التأمل الصوفى ـ أن يقف على «حافة» المعرفة القصوى .. لكنه لن يستطيع أن «يعبر» الهوة التى تفصله عنها : «**من أنا حتى أطاول الآلهة ؟.. إننى أرتجف وأنا أحس وطأة الشعور بضآلتى .. إننى كالدودة الحقيرة ، من التراب خلقت ، وفى التراب أعيش .. فهل أجد هنا العلاج الذى أبحث عنه ؟**»

ويرنو ببصره الشارد ــ وهو غارق فى التأملات ــ إلى قارورة صغيرة بها سم فيفكر فى الانتحار .. ويناجى القارورة مرحبا بالشواطىء المجهولة التى سوف تنقله إليها محتوياتها المميتة !.. وفيما هو يشرع فى تجرع ما بداخلها تدق أجراس عيد الفصح دقاتها الفضية المرحة ، ويسمع فى سكون الليل صوت جوقة من الفتيات يغنين لحنا ملائكيا .. فتعاوده ذكريات صباه ومشاعر فرحته بالعيد .. ويلمع الدمع فى عينيه .. فينحى قارورة السم بعيدًا ويصغى إلى دقات الأجراس !

ـ ٣ ـ

□ وفى صبيحة يوم العيد يخرج فاوست وتلميذه المفضل «فاجنر» ــ الذى يرى فيه فاوست شبابه المفقود ــ كى يتجولا فى أنحاء المدينة التى تغص بالجماهير .. مارين بمختلف الفئات من الناس : طلبة يهرعون إلى الحانات ليشربوا البيرة ويتبادلوا مع فتياتها القبلات .. ونسوة عابثات ؛ وعوانس وقورات على استعداد لنسيان وقارهن إذا وجدن أزواجًا ! .. ورجال فى منتصف العمر يشجعون الحروب فى الخارج مادام السلام يعمر بيوتهم .. وجنود يغنون أناشيد الحب والمجد فى ساحات القتال ومتسولون يجدون أعيادهم الحقة فى أيام الأعياد ! .. وفلاحون يرقصون كل جماعة فى حلقات .. وشبان يمرقون بقواربهم على صفحة النهر ..

ويتامل فاوست تلك المظاهر الصاخبة للبهجة فيحس أنه حقًا فى يوم عيد . وانه إنسان .. ذلك الإحساس الذى حرم منه طيلة أعوام دراساته الصارمة .. ثم يلمح كلبًا أسود فى الطريق . يدور حوله ويقترب منه بالتدريج . فيأخذه معه إلى البيت . وهناك يعكف على ترجمة فقرات من الإنجيل . وفيما هو يجهد ذهنه باحثًا

عن التعبير الصحيح ، يأخذ الكلب فى النباح .. ويتبين فاوست أنه ليس كلبًا عاديًا ، وإنماهو روح شريرة ! فيحاول أن يجرى عليه تجاربه السحرية .. وفى اللحظة التى يوشك فيها أن يستخدم أقوى تعاويذه ، يفصح الكلب عن نفسه ، فإذا هو الشيطان «مفيستو» وقد ظهر الآن فى هيئة طالب علم قادم من سفر ! .. ولكنه يقدم نفسه لفاوست على اعتبار أنه «متعهد توريد جميع ملذات الدنيا !» ثم يعرض على العالم الشيخ خدماته ..

فاوست : إننى أكبر سنًا من أن أستسلم للملذات .. وأصغر سنًا من أن تفارقنى شهيتى .. فماذا تستطيع الدنيا أن تعطينى الآن ؟ .. كفى . كفى !

لكن «مفيستو» يعد فاوست بحياة جديدة ، وآمال جديدة ، ومعرفة جديدة ، ومطامع جديدة ، ومغامرات جديدة ! إنه سوف يعيد إليه شبابه ويخدمه ، ولكن بشرط :

مفيستو : سوف أكون عبدك المطيع فى هذه الدنيا ، وتكون أنت عبدى فى الآخرة !

فاوست : وكم من الزمن سوف تخدمنى على الأرض ؟

مفيستو : هذا أمر متروك لك ..

فاوست . إذن فقد اتفقنا ! .. أعيش متنقلاً من متعة إلى متعة فى نشوة متزايدة ، حتى أبلغ لحظة المتعة القصوى ، التى أحس فيها بالشبع !

ويوقعان الميثاق بدمها ! .. وبفضل وسائل الشيطان السحرية يتحول فاوست إلى شاب فى مقتبل العمر . ثم يبدأ الاثنان مغامرتهما الشائقة بحثًا عن المتع والملذات !

- ٤ -

☐ **وتقودهما** مغامرتهما الأولى إلى حانة «أورباخ» ، حيث يلتقيان بجماعة من الشبان العابثين ، فيعمد الشيطان إلى تسليتهم بألعابه السحرية ، فيخرج كافة صنوف الشراب من منضدة جافة بواسطة ثقبها بمثقب «بريمة» .. ثم يخيفهم بتحويل الشراب الفوار إلى لهب متقد !

ومن حانة أورباخ يأخذ مفيستو فاوست إلى «مطبخ الساحرات» ، حيث يسقيه محلولاً سحريا يوقد فى عروقه نار الحب الجنسي واستهتاره .. وبعد ذلك يقوده إلى شارع عام ، حيث يقدر له أن يعثر على سعادته الأولى الفائقة ، ويصادف مأساته الأولى المفجعة ، إذ فيما هما يراقبان المارة ، تمر بهما «مرجريت» .

فاوست : ايتها السيدة الحسناء ، لا يسوءنك أن أعيرك ذراعي ورفقتى ..

مرجريت : لست سيدة ، ولا حسناء ..أما بيتى فأستطيع أن أبلغه بغير رفقتك **(وتخلص ذراعها منه وتمضى ..)**

فاوست : كم أتوق إلى امتلاك هذه المرأة .. !

مفيستو : لكنها آتية لتوها من حيث أدت فريضة الاعتراف ! ؟

فاوست : لا تنطق أمامى بكلمة عن الدين .. لئن لم تبت هذه الفاتنة بين ذراعى الليلة ، فاعتبر ميثاقنا مفسوخا إبتداء من منتصف الليل !

مفيستو : إن شهوتك لأشد عنفا حتى مما عهدته فى الشياطين .. لكنى سوف أحقق أمانيك .. سوف أجد غرفتها وأقودك إليها !

- ٥ -

☐ **ويحاول** الشيطان أن يغوى «مرجريت» بمجموعة فاخرة من الحلى والجواهر يضعها خلسة فى غرفتها .. فتبتهج لدى رؤيتها وترتاع فى وقت واحد .. ثم

تعرضها على جارة لها تدعى «مارتا» غاب عنها زوجها منذ أعوام :

مرجريت : انظرى يا مارتا .. وتأملى !

مارتا : يا طفلتى ، أى حظ هذا الذى واتاك !

وفيما هما تفحصان الحلى فى انفعال يدخل مفيستو متنكرًا فى هيئة سائح فينبىء مارتا بأن لديه أخبارًا عن زوجها :

مفيستو : سيدتى . إن زوجك قد مات ..

مارتا : أواثق أنت ؟

مفيستو : كل الثقة .. فإن لى صديقًا رأى نهاية زوجك .. وسوف أحضره هنا .

مارتا : أرجوك أن تفعل يا سيدى ..

مفيستو : وهذه السيدة الشابة سوف تكون موجودة أيضًا ؟ إن صديق شاب رائع كثير الأسفار ، يحظى دائمًا باعجاب النساء !

مرجريت : أخشى أن يحمر وجهى خجلا فى حضرته ..

مفيستو : (فى لباقة) : هذا الحسن لم يصنع لحمرة الخجل !

مارتا : فى حديقتى الخلفية سوف ننتظركما الليلة ..

□ **ويلتقى** فاوست بمرجريت فى حديقة مارتا .. وبينما الشيطان يشغل مارتا بحديثه ، يغازل فاوست مرجريت .. فيفتنها بشبابه ، ووسامته ، وأناقته ، وحضور بديهته .. وحين يذهب يتركها لاهثة الأنفاس ، تحدث نفسها : «يا **إلهى !.. كيف يوجد رجل يفكر هكذا ويعرف إلى هذا الحد !**» .. وتصلى ملتمسة أن تنفحها السماء بزيارة أخرى منه !

وتستجاب صلاتها ، فيلتقيان مرة أخرى فى حديقة منزل مارتا ، ولكن على انفراد هذه المرة ، فيناشدها أن تسمح له بدخول غرفتها بعد أن تنام أمها .. لكن

مرجريت تبدى ترددًا .

مرجريت : إن نوم أمي جد خفيف . ولن تلبث أن تشعر بوجودك ..

فاوست : لا تخشى يا محبوبتى مرجريت ، يا كنزى الجميل . أن يقطع متعتنا شيء.. فاليك هذه الجرعة التى لو شربتها أمك لغابت فى أعمق نعاس !

فتتناول مرجريت منه القارورة الصغيرة التى تحوى المخدر ، وتعده بأن تفى بموعدها .

مرجريت : لست أدرى ما الذى يرغمنى على إطاعة رغبتك .. فمها طلبت منى . سوف أعطيك !

ـ ٦ ـ

□ **وتنعم** مرجريت بخلوتها مع فاوست .. بينما يحقق المخدر الذى سقته لأمها الغرض الذى قصد منه . وأكثر .. فلقد كفل للأم النوم الأبدى ! .. وهكذا يسفر حب مرجريت لفاوست عن انطفاء شعلة حياة . وانبثاق حياة أخرى .. فى أحشائها !

ويعود شقيق مرجريت ـ المدعو «فالنتين» ـ من الجيش ، بعد أن سمع بعارها .. وفيما هو أمام الباب يلمح شبحين يقتربان !

فالنتين : أواه . أكاد أمزق شعرى غيظًا . وأحطم رأسى يأسًا ! .. سوف يلقانى أحقر صعلوك بأنف شامخة ، ويلاحقنى الناس بالقدح والتقريع اللاذع .. ولكن ما هذا الذى أراه يقترب متلصصًا ؟ .. إذا لم أكن مخطئًا فهما اثنان ! .. إن كان «هو» أحدهما فلن يبرح المكان حيا !

□ **ويقترب** الشبحان فإذا هما فاوست ومفيستو .. الأول يحمل إلى حبيبته سلة أخرى من الجوهرات .. والثانى يحمل قيثارة يغنى على أنغامها ! .. يحطم فالنتين

القيثارة .. فينشب بين الثلاثة شجار ، وتحد ، ومبارزة تنتهي بأن يطعن فاوست فالنتين فيقتله .. ويسقط الجندى الشاب مضرجًا بدمه ، وشفتاه تلعنان أخته التعسة ، التى تخرج مع جيرانها على صوت الضجيج ، بينما يلفظ شقيقها أنفاسه الأخيرة وهو يحشرج لها : «إننى لأرى منذ الآن اليوم الذى يشيح فيه الناس بوجوههم عنك كما يفرون من طاعون .. وأسمع آهات الندم التى سوف تزفرينها حين تصيرين منبوذة شريدة فى الطرقات . كيف ستحتملين نظرات المارة إليك ؟ لن ترتدى صليبك الذهبى فى فخار بعد الآن .. لن يشرق وجهك الفاتن فى أبرز مكان من الكنيسة كما كان . وإنما حيث تعيش العاهرات ستعيشين ، وحيث تموت المتسولات ستموتين .. فلئن كان الله غفورًا رحيمًا ، فليس الإنسان بغفور ولا رحيم !»

- ٧ -

□ وفى ليلة أول مايو . يأخذ الشيطان فاوست إلى قمة مرتفعات «بروكين» حيث تحتفل الأبالسة وجميع قوى الشر برقصة السبت . فيشاهدان جميع شرور الأفكار . والنظرات . والأشخاص . والأشياء . والنزعات . والأفعال . ممثلة كلها ومختلطة فى تلك الرقصة الجهنمية .. وينسى فاوست مرجريت فى غمار بحثه عن المتع الأخرى . وينضم إلى الأرواح الشريرة فى عيدها فيصغى إلى أغانيها ويلعب معها ، ويراقصها .. لكنه بعد أن ينصرف من عيد العربدة والتهتك والفجور . يعلم أن مفيستو يخفى عنه نبأ : أن مرجريت قد وضعت طفلها . ثمرة خطيئتها مع فاوست . لكنها فى نوبة ندم قتلت الطفل الوليد كى تخفى عارها . فاكتشفت جريمتها .. وحوكمت .. وحكم عليها بالموت ! وهى الآن فى زنزانتها بالسجن تنتظر مصيرها التعس ..

ينهش الندم والشفقة قلب فاوست فيأمر مفيستو بأن يقوده إليها فى السجن . ويعاونه على إنقاذها من الموت .. وحين يصلان ، يسمعانها تغنى أغنية مجنونة .. وتسمع هى صليل سلاسل الباب وهو يفتح ، فتخفى وجهها فى حشية فراشها صائحة :

مرجريت : أواه . لقد أتوا . أتوا ليقتلونى . ما أفظع الموت !

فاوست (هامسا) : صه .. بل جئت لأنقذك .

مرجريت (ترتمى عند قدميه) : هل أنت إنسان ؟ .. إذن فارحمنى !

فاوست (هامسا) : مرجريت ! .. مرجريت !

مرجريت (تصيخ السمع فى انتباه) : أين هو ؟ أين ؟ سمعت صوت حبيبى بعينه (تهب واقفة) سأعانقه ، سأتكئ على صدره . لقد سمعته ينادى ، إنه واقف على عتبة الباب ..

فاوست : مرجريت .. هأنذا !

مرجريت : أهو أنت ؟ قلها مرة أخرى **(تضمه إلى صدرها)**

فاوست : مرجريت ، تعالى معى ..

مرجريت : بل امكث معى برهة ، لكم أحب أن أبقى معك ..

.. وهكذا ـ بمعونة الشيطان ـ يعرض فاوست على مرجريت أن ينقذها .. لكنها ـ بمعونة الله ـ تفضل أن تبقى وتواجه عقوبتها !

ولا يكاد الشاب يخرج حتى يقبل الحراس فيسوقونها إلى حيث ينفذ فيها حكم الاعدام !

مفيستو : لقد هلكت المسكينة !

صوت (من أعلى) : **بل لقد خلصت !**

- ٨ -

فإذا كان القسم الثانى من المسرحية رأينا فاوست يواصل بحثه عن سر السعادة ، بعد أن جرب الملذات والمتع الحسية فلم يصل منها إلى مبتغاه : إلى المتعة القصوى ! .. وإنه ليتوق إلى تجربة كل ما تنطوى عليه الحياة : «إلى تعريض صدره لكل الكروب ، ومعرفة جميع أفراح البشر وأحزانهم» .. بل انه يريد أن يكد ويعمل مثل سائر الناس ، ويشاركهم نهايتهم حين تغرق سفينة الإنسانية !

وهكذا يجرب معه الشيطان نوعًا آخر من الإغراء .. يستثير فيه شهوة الشهرة والسلطان ، فيقدمه إلى امبراطور ألمانيا ، الذى يعينه مستشارًا فى البلاط الامبراطورى . ويتيح المنصب الخطير لفاوست أن يحصل على المجد والترف .. دون السعادة ! فيغريه تذمره من حياته الحاضرة بأن يسعى إلى استحضار أرواح فاتنات الماضى ، عن طريق استخدام فنون السحر ! وهكذا يستحضر روح هيلين من أكفانها فى طروادة ، ويحقنها بدم بشرى حى ثم يحاول أن يعقد زواجه عليها .. لكنه حين يعانقها يفاجأ باختفائها من بين أحضانه تاركة معطفها بين ذراعيه .. !

وعلى هذا المنوال يتخبط فاوست من مغامرة إلى مغامرة بغير ان يجد السعادة المنشودة ، فإن كل محاولاته تنتهى إلى الفشل ، أو إلى نجاح أجوف أمر من الفشل .. وحتى حين يربح لامبراطوره معركة هامة يجد النصر ليس أقل مرارة من الهزيمة !

ويقدم إليه الشيطان القصور الشامخة .. والنساء الجميلات .. والمدن الكبرى .. والممالك الضخمة .. والمجد الدائم .. ولكنه يزهد فيها كلها ، فإن متع الشباب وترف السن المتوسطة لم تكشف له إلا عن سراب زائف .. والآن تبدأ

حياته فى الإدبار وتداهمه الكهولة بما تحمل فى طياتها من ضعف فى الجسد وضعف فى الروح .. إن نيران ورغبات شبابه قد صارت إلى رماد وحطام ، والوحدة الموحشة قد تربعت على عرش قلبه الخاوى وحياته العقيمة !

ثم تأتى ثالثة الاثافى حين يطفى العمى نور عينيه ، فيكف عن مطاردة السعادة التى أنفق حياته فى السعى وراءها ، ويدرك أخيرًا عقم محاولاته ، وسخف بحثه عن شيء ليس له فى الواقع وجود !

ولكن هنا تحدث المعجزة ! .. فإنه فى اللحظة التى ينبذ فيها السعادة يجدها ! فقد شرع فى تنفيذ مشروع ضخم يرمى إلى ردم المستنقعات القريبة من البحر وإنشاء مساكن صالحة نظيفة مكانها ، مجانًا لملايين الناس ، كى ينعموا بحريتهم عن طريق اكتسابها من جديد بعرق جبينهم وعملهم اليومى ! .. وتملأ الفكرة نفس فاوست فرحًا وغبطة . إنها الهدف الذى أنفق حياته سعيًا إليه ، دون أن يشعر ! أن ينسى كل إنسان ذاته ، ويعمل من أجل الآخرين مثلما يعملون لأنفسهم ، تلك هى ذروة السعادة البشرية ، واللحظة الذهبية التى يستطيع فاوست أن يتمنى بقاءها إلى الأبد .. لحظة المتعة القصوى !

* * *

أما وقد بلغ فاوست حلم حياته فإن حياته تبلغ نهايتها .. وقد ربح الشيطان الرهان ، فيما يبدو .. فهو يطلب روح فاوست ثمنًا لانتصاره ، لكن الملائكة تنكر عليه زعمه فتهبط وسط طوفان من الأزهار وتحمل روح فاوست إلى السماء ، إلى الفردوس ! .. فلئن كان فاوست قد ضل أبشع ضلال إلا أنه خلال جميع مراحل ضلاله كان يتوق ويهفو بوحى من غريزته .. إلى النور !

وفى الفردوس ، كانت أول روح تستقبل وتحيى روح فاوست هى روح

مرجريت . التى أخطأت وماتت شريكة له فى خطيئته . لكن الله قد غفر لها ..
ونه غفور رحيم .

أما رسالة مرجريت الآن فهى أن ترشد فاوست إلى الطريق .. فلقد طالما كانت المرأة رائدة الرجل فى طريق الخلاص . ومنقذته الخالدة !

« ستار »

وليام تل

| هكذا يموت الطغاة |

فردريك شيللر

WILLIAM TELL

By

F. von SCHILLER

المؤلف

إنه الشاعر . والكاتب . والفيلسوف الألمانى «جوهان كريستوف فردريك فون شيللر».. ولد فى (مارباخ) يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٧٥٩ . وكان أبوه جراحا فى الجيش دائم التنقل بحكم عمله بين البلدان . مما عاق انتظام ابنه فى الدراسة زمنا ، حتى استقرت الأسرة فترة طويلة فى بلدين على التوالى . فاستعاض الفتى عما فاته من علم . وفى سن الرابعة عشرة التحق بمدرسة تعده لدراسة القانون . لكن المدرسة لم تلبث أن أغلقت بعد عامين ، فانتقل شيللر إلى دراسة الطب مثل والده ..

وخلال ذلك كله لم ينقطع الفتى عن ممارسة هوايته المفضلة : الأدب .. فلما بلغ السابعة عشرة نشر أول إنتاجه من الشعر الغنائى فى إحدى الصحف . وخلال العامين التاليين أتم مسرحيته الأولى «اللصوص» . لكنه لم يجد لها ناشرا ، فاضطر إلى نشرها على نفقته بعد ثلاث سنوات . وأحدث ظهورها ضجة حتى لقد قارنها النقاد بمسرحيات «جيته» ! وهى اليوم معتبرة من أعظم درر المسرح الألمانى فى القرن الثامن عشر ..

اعتقال .. وفرار

فى هذه الأثناء حصل شيللر على دبلوم الجراحة ، فعين طبيبا لحامية(ستوتجارت) . لكنه لم يلبث أن ضاق بصرامة القيود العسكرية فبدأ يتمرد عليها فى كل مناسبة .. وذات يوم تسلل خلسة من المعسكر ليشهد تمثيل مسرحيته «اللصوص» فى مدينة مجاورة . ثم تكرر تسلله لنفس الغرض فى ليلة أخرى ! فما كان من حاكم المدينة إلا أن أصدر أمرا باعتقاله لمدة أسبوعين ، على أن يمتنع بعد ذلك عن كتابة وتأليف تلك «المهازل» . وأن لا يغادر المدينة بأى حال من الأحوال !.. وإذ ذاك فاضت به الكأس فدبر خطة للفرار من عمله بالحامية نهائيا . ونفذ الخطة بالفعل فى سبتمبر سنة ١٧٨٢ . لاجئا على الأثر إلى بيت والدة أحد زملائه فى الدراسة .. وهناك بدأ فى تأليف مسرحيته التاريخية «دون كارلوس» . وقرأ الفصل الأول منها على مسامع راعى الأدباء المشهور «دوق فيمار» فى

ديسمبر ١٧٨٤ ، وفى هذه الأثناء كان قد عين شاعرا لمسرح مانهايم لمدة عام ، بمرتب لا بأس به ..

وفى ربيع ١٧٨٥ دعاه صديقان له وخطيبتاهما إلى قضاء الصيف فى ضيافتهم بمدينة (ليبزج) ، ثم قضاء الخريف فى (درسدن) . وفى هذه الأثناء أتم مسرحيته دون كارلوس ومثلت بالفعل على المسرح ، فظفر منها بمزيد من الشهرة الأدبية .. كما خرج من اختلاطه بأحد مضيفيه ـ وكان يدرس الفلسفة ـ بازدياد ميله إلى دراستها واتجاهه نحو التعمق فيها ..

□وفى ١٧٨٧ بدأت مرحلة جديدة من حياته بتعرفه إلى أسرة فون لنجفيلد وزواجه من ابنتها الصغرى .. وعلى أثر ذلك عكف شيللر على دراسة التاريخ فتعمق فيه ووضع فيه كتابا قيما حصل بسببه على منصب الأستاذية فى جامعة (ينا) . وتسلم مهام منصبه هذا فى نوفمبر سنة ١٧٨٩ . وهو بعد فى الثلاثين !

الصداقة التى ألهبت عبقريته !

لكن إصابة شيللر بالسل منذ شبابه الباكر كانت فى ازدياد . ومتاعبه المالية لم يكف لتبديدها تعيينه فى ذلك المنصب .. حتى تطوع أمير شغوف بالأدب فأجرى على الشاعر مرتبا سخيا لمدة ٣ سنوات . فانتهز شيللر الفرصة وتفرغ للتعمق فى دراسة الفلسفة . وصارت أبحاثه تنشر فى الصحف فلفتت انتباه الشاعر الكبير «جيته» .. ومنذ ذلك التاريخ منحه جيته صداقته الخالدة التى أشعلت فى الشاب نار طموح وحماس خارقين .. فأخذ يعمل بنشاط محموم . شأن من يعلم أن أيامه على الأرض قد باتت محدودة . وهكذا . بعد أن كان قد هجر التأليف المسرحي إلى الدراسات الفلسفية والشعر الغنائى أكثر من عشر سنوات .. عاد إليه سنة ١٧٩٩ . فأنتج فيه خلال السبع سنوات الأخيرة من حياته مجموعة رائعة من المآسى الجبارة . المتنوعة الموضوعات والأجواء . كانت أولاها : «والنشتاين» . وهى دراما تدور حول حروب الثلاثين عاما ، وقد رفعته بمجرد

تمثيلها إلى مصاف أعظم مؤلفى المسرح الأوربيين ! .. وأغراه نجاحها بأن يقيم بصفة نهائية فى (فيمار) ، ليكون قريبا من أستاذه «جيته» من ناحية ، وليتمكن من التردد على المسرح الذى كان جيته يديره فى تلك المدينة ..

وفى العام التالى كتب شيللر مسرحيته التاريخية التالية «مارى ستيوارت» ، ثم أعقبها بـ «عذراء أورليان ـ جان دارك» ، و «عروس مسينا» .. وأخيرا «ولیم تل» ، التى أتمها قبل وفاته بأشهر معدودة . وقد شرع بعدها فى كتابة مسرحية جديدة سماها «ديمتريوس» ، لكن الموت عاجله وهو لم ينجز منها غير فصلين .. فلفظ أنفاسه فى فيمار فى التاسع من مايو سنة ١٨٠٥ ـ مبكيا عليه من الشعب الألمانى قاطبة ، بل من عشاق الأدب المسرحى فى العالم بأسره ..

وحين بلغ نبأ موته مسامع صديقه وأستاذه «جيته» ، أغلق الشاعر الكبير على نفسه باب مخدعه وبكى كالأطفال .. ثم كتب إلى صديق له يصف حزنه عليه بقوله : «اليوم فقدت نصف كيانى !»

- ١ -

□ **الشاطىء** الصخرى لبحيرة «لوسيرن» ، بسويسرا .. عاصفة ضارية تهب على البحيرة .. الصيادون والرعاة يبحثون عن ملجأ يحتمون فيه من العاصفة .. **يدخل «بومجارتن» . وهو فلاح هارب من مطاردة رجال الشرطة . لقد قتل أمين خزانة الدولة لمحاولته اغتصاب زوجته !.. وهو يهتف بالموجودين : «انهم فى أثرى .. ساعدونى على العبور الى الضفة الأخرى من البحيرة !»**

ويعطف الجميع عليه بقلوبهم . لكن أحدا منهم لا يتطوع لنقله إلى الضفة المقابلة . متعللين بالعاصفة : «انظر إلى الامواج المزبدة .. من المستحيل اقتحامها بزورق صغير .. إن محاولة ذلك تكون بمثابة انتحار !»

وفيما هو يستعطفهم متوسلا .. يقبل صياد آخر يدعى «وليم تل» فيقبل أن يواجه العاصفة من أجل بومجارتن ، قائلا فى شهامة : «قد تشفق البحيرة عليه .. أما الحاكم فلن يفعل !»

وقفز الاثنان إلى القارب .. وفى اللحظة التالية يصل جنود الحاكم على ظهور جيادهم فيعمدون إلى سلب القرويين وحرق بيوتهم . انتقاما لفرار القاتل .. بينما يبلغ هذا ـ بصحبة وليم تل ـ الشاطىء الآخر فى أمان !

* * *

□ **فاذا** كان المنظر الثانى رأينا البنائين منهمكين فى تشييد سجن ضخم . أشبه بالقلعة . لاعتقال الاحرار من أبناء البلاد .. ونعلم أن الحاكم «جسلر» يحكم سويسرا بقبضة من حديد ، فهو يجرد الفلاحين من أملاكهم ، وحين يحتجون يزج بهم فى السجن !.. حتى ضاقت السجون القديمة بمن فيها ، ففكر الحاكم

الظالم فى بناء السجن الجديد فى «ألتدورف» كى يأوى عددا آخر من المعتقلين !

يرقب «وليم تل» العمال المنهمكين فى بناء «قبر الحرية» الجديد ، فيرى : «ان **ما بنته الايدى ، يا أصدقائى ، تستطيع الايدى أن تهدمه !» فان الطغيان يحمل فى ذاته جراثيم فنائه ، ولن يدوم سلطان لظالم حتى لو كان فى جبروت «جسلر» وأنانيته الممقوتة ..» !**

لكن جسلر يبدو جاهلا بالقانون الطبيعى الذى يحتم أن ينتهى كل اضطهاد غاشم إلى الثورة .. فهو يأمر جنوده بأن يعلقوا قبعته «المبجلة» فوق صارى العلم فى مواجهة السجن الجديد ، كى يجثو لها على ركبتيه كل من يمر بها ، وإذا رفض يكون عقابه الموت !

ـ ٢ ـ

□ **وأمام** هذا التعسف الجديد الجائر يبدأ الاهالى فى التذمر ، سرا .. **لكن تذمرهم ينفجر آخر الامر فى صورة تمرد صريح حين يعمد جسلر إلى فقء عين شيخ مسن ، عقابا له على مخالفة تافهة ! .. فيؤلف ابنه «أرنولد» بالاشتراك مع اثنين من زعماء الفلاحين هما «ورنر ستوفاشر» و «والترفيرست» جماعة سرية لمقاومة طغيان جسلر** . ويأبى وليم تل ـ وهو زوج ابنة «والتر فيرست» ـ أن ينضم إلى الجماعة فى أول الامر ، معتذرا بأن الشخص ينبغى ألا يعتمد على غير نفسه فى الاقدام على عمل ما ، فهو صياد فرد لا يؤمن بقوة الجماعات .. لكنه يعد أصدقاءه بأنه لن يخذلهم فيما لو طلبوا معونته فى مناسبة ما : «وفروا نصائحكم لأنفسكم يا اخوانى . فحين يجد الجد تستطيعون الاعتماد على ساعدى !»

ويدعو زعماء الثوار الى عقد اجتماع عام للاهالى فى الغابة ، عند انتصاف الليل ، لمناقشة خطتهم والاتفاق على تفصيلاتها :

ستوفاشر : نحن نحارب من أجل حياتنا !

فيرست : بل من أجل حريتنا !

أرنولد : ومن أجل والدى .. انه لن يستطيع أن يرى يوم الحرية ، لكنه سوف يسمع نشيدها ..!

* * *

□ **فاذا** كان المنظر التالى ، فنحن فى دار البارون «اتينجهويزن» ، وهو نبيل شيخ فى الخامسة والثمانين ، يميل بعواطفه الى قضية الفلاحين ـ بعكس ابن أخيه ووريثه «روديتز» الذى يؤيد كفة الطغاة ، من فرط ما أعمته أضواء بلاطهم الباهرة وأضله حبه للحسناء «برتا أوف برونيك» (وهى وارثة غنية تخضع لوصاية الحاكم جسلر !)

اتينجهويزن : ابق هنا معى يا روديتز .. ابق بجانب فلاحيك . ان أقوى روابط الدنيا هى البيت ، والوطن الصغير .. إنك لا تمت إلى دنيا الطغاة ، دنيا البرود والعجرفة .. سوف تكون غريبا بينهم !

روديتز : كلا يا عمى .. ان الحيطة تفرض على المرء أن يسعى إلى نيل الحظوة عند العظماء الاقوياء . وأنا أريد أن أزرع البذور لحصاد وافر الثراء فى المستقبل .

اتينجهويزن : أوهذا من الحكمة يا بنى؟ أن تظفر بالحظوة لدى طاغية ، يسلبنا قوتنا ويمتص دماءنا الغالية كى يغذى بها حروبه؟

روديتز : وماذا فى وسعنا أن نفعل ، ونحن سلالة رعاة ، ضد تلك القوة الهائلة ؟

اتينجهويزن : أنت لا تعرف قومك . إنهم شعب ولد أفراده أحرارا ، وسوف يحاربون من أجل حريتهم .. لا تتركنا يا روديتز . نحن فى حاجة إلى أيد قوية ..

رودينز : ولكننى مقيد .. لقد أعطيت كلمتى !

اتينجهويزن : إيه ، مقيد بشبكة الحب الحريرية !.. لا تخدع نفسك يا بنى .. انهم يجعلون الفتاة طعما لك !

☐ **لكن** روديتز لا يصغى لنصيحة عمه .. بل يذهب لينضم الى بطانة جسلر ! ويبقى اتينجهويزن يتبعه ببصره فى حسرة مغمغما : «لقد ذهب الغرير المندفع !.. ولسوف يلحق به قريبا شبان آخرون ، يخدعهم بريق القوة .. ما أسعد الانسان الذى لن يعيش ليشهد انتصار الطغاة !»

* * *

☐ **فاذا** كان المنظر التالى فقد مضى جسلر وأتباعه ليصطادوا فى الغابة .. بينما انفرد روديتز بحبيبته برتا بعيدا عن بقية الجماعة

روديتز : من أنا ، حتى أطمع فى حبك ، بين كل هؤلاء الفرسان الباهرين؟.. إنهم يملكون المجد ، والثروة ، والجاه .. فى حين لا أملك أنا أن أقدم إليك غير قلب مخلص !

برتا : أو تصدقنى القول .. أنت الذى بعت شعبك طمعا فى ابتسامة طاغية ؟

روديتز : لست أفهمك .. ألست من أصدقاء جسلر؟

برتا : إنى أمقت جسلر .. وقلبى ينزف أسى على مواطنيك المعذبين .. إنهم غاية فى الرقة ، ولكنهم غاية فى القوة أيضا !

روديتز : برتا ، أنت تكرهيننى !

برتا : بل أرثى لحالك .. ولو استطعت أن أوقظ النبل فى أعماقك لاستطعت أن أحبك !

روديتز : أواه يابرتا .. من أجل أن أظفر بحبك ، أى شيء أحجم عن فعله ؟

بوتا : اذن فلتعدنى أن تصبح الرجل المفروض أن تكون .. ان تحرر قومك ، وتحارب من أجل وطنك . عندئذ تظفر بحبى ! .. ان عدوا واحدا يملأ قلوبنا جميعًا رعبا وفزعا ، لكن الضربة التى تحرر فردًا .. تحررنا جميعًا !

- ٣ -

□ **فإذا** كان الفصل الثالث رأينا «وليم تل» فى بيته يتأهب للخروج ، كى يزور صهره «والتر فيرست» .. وزوجته تناشده أن يبقى فى داره خشية أن يصيبه مكروه من جراء القلاقل التى تجتاح البلاد .

الزوجة : إنك مستهتر .. فى قلب العاصفة تنقل ذلك القاتل بومجارتن عبر البحيرة ! .. ألم تفكر فى زوجتك وأولادك فى تلك الساعة ؟

تل : بل فكرت .. ولذلك نقلته . أردت أن أنقذ الوالد من أجل أولاده !

الزوجة : لكن الحاكم ظالم حقود !

تل : ليس لى أن أخشى الحاكم فى شىء .. إنه لن يؤذينى .

الزوجة : أواثق أنت من ذلك ؟

تل : نعم .. لقد التقيت به منذ مدة قصيرة وجهًا لوجه ، فى ممر جبلى ضيق ، فلما رآنى تذكر أننى الرجل الذى حكم عليه بغرامة باهظة من أجل مخالفة يسيرة .. فشحب وجهه ، حسب أنى سأقتله فى التو واللحظة . لكنى أشفقت عليه .. فتركته يمر !

□ **لكن** الزوجة لا تطمئن على زوجها . بالرغم من كلماته الواثقة . وتعود فتلح عليه كى يبقى .. فيجيبها فى عناد :

تل : لقد وعدت أن أذهب ..

والتر (أحد أولاده) : سأذهب معه !

الزوجة : وتترك أمك ؟

والتر: سوف أحضر إليك أشياء جميلة من عند جدى ..

☐ ويأخذ وليم تل منطقة قوسه وسهامه ويبرح البيت ، وبصحبته ابنه والتر .. فتتبعهما الزوجة ببصرها فى قلق وأسى .. ان فى قلبها احساسا مبهما بالانزعاج !

ويمر وليم تل ووالتر بالبقعة التى علقت فيها قبعة الحاكم ، فيلفت الابن نظر أبيه اليها ..

والتر: انظر يأبتاه ، انظر الى القبعة التى هناك !

تل : ما لنا ولها ؟ فلنستمر فى طريقنا ..

الحارس الأول : قف ! إنى أقبض عليك باسم الامبراطور . لقد تعمدت ألا تنحنى تحية لقبعة الحاكم !

☐ ويخف عدد من الاهالى لنجدة وليم تل .. وأثناء ذلك يسمع النفير :

الحارس الثانى : الحاكم !

الحارس الأول : تمرد ! ثورة ! النجدة !

☐ ويقبل جسلر على صهوة جواده ، يتبعه طابور طويل من الاتباع ، بينهم برتا وروديتز :

جسلر : من الذى يصيح فى طلب النجدة ؟

الحارس الأول : هذا الرجل يرفض الانحناء أمام قبعة سموكم !

جسلر (الى تل) : ماذا تقول دفاعا عن نفسك ؟

تل : اعف عنى يا صاحب السمو ، لقد كان الأمر سهوا ..

جسلر : انى أسمع أنك بارع فى استعمال القوس .

والتر: نعم يامولاى ! أبى يستطيع أن يصيب تفاحة على بعد مائة ياردة !

جسلر (الى تل) : هذا ابنك ؟

تل : نعم يا مولاى .

جسلر : حسنا .. سوف تثبت براعتك فى التو واللحظة . صوب سهمك الى تفاحة فوق رأس غلامك .. فاذا لم تصبها دفعت رأسك ثمنا لعجزك !

☐ ترتفع ضجة ذعر واحتجاج من جانب الحاضرين ، ويخر «تل» راكعا على ركبتيه متوسلا الى جسلر أن يعدل عن تنفيذ أمره الوحشى الذى قد يعرض حياة ابنه للخطر ! .. ويعرض الاب على الحاكم صدره العارى ، رمزا لتضحيته بحياته هو فى سبيل ابنه .. لكن جسلر يغرق فى الضحك ويقول معترضا : «ليست حياتك التى أطلبها ، بل سهمك ، دليل براعتك .. هيا وعجل !»

والتر : أطلق السهم يا أبى ، ولاتخف . أعدك بأن أقف ساكنا فلا أتحرك .

☐ وهنا يتناول تل من جعبته سهمين ويضعهما فى حزامه .. لكن عين جسلر اليقظة تفطن الى الحركة .. وفى أثناء ذلك يتقدم «رودينز» من الحاكم :

رودينز : مولاى ، لقد غاليت فى المزاح أكثر مما ينبغى !

جسلر : وفيم هذه الجرأة المفاجئة ؟

رودينز : لقد طالما راقبت تصرفاتك الجائرة وأنا صامت . لكن صمتى بعد هذا يكون خيانة لوطنى !

جسلر : ماذا ؟ أتحدث مولاك بهذه اللهجة ؟

رودينز : لست أعرف لى مولى غير مليكى الامبراطور ، ولا أحد سواه !

☐ وخلال ذلك يطلق وليم تل سهمه ، فيشق التفاحة فوق رأس غلامه الى نصفين .. ويصيح هذا مزهوا :

والتر : هاك التفاحة يا أبى .. كنت أعلم انك لن تصيبنى !

☐ وينحنى الاب على ركبتيه فيعانق ابنه فرحا ..

جسلر : بقيت لى كلمة معك يا تل .. لقد رأيتك تضع سهما ثانيا فى حزامك .. ماذا كان غرضك ؟

تل (مثبتا عينيه فى حزم على وجه الحاكم) : لو أصاب السهم الأول فلذة كبدى ، لانطلق السهم الثانى مباشرة إلى قلبك !

☐ ويقبض على تل ، ويشد وثاقه ، تمهيدا لترحيله فى زورق إلى سجن (كوسناخت) الرهيب :

الأهالى (يحيطون بالبطل) : قلوبنا معك ، تتبعك أينما ذهبت !

تل : وداعا ..

والتر : أوه ، أبى ، أبى .. أبى الحبيب !

ستوفاشر : اليست لديك رسالة تود ابلاغها إلى زوجتك ؟

وليم تل (وهو يحتضن ابنه الى صدره) : قولوا لها ان الولد بخير .. أما أنا فان الله سوف يرعانى ! (وينتزع نفسه من حضن ابنه ويتبع الجنود ..)

ـ ٤ ـ

☐ **فاذا** كان الفصل الرابع فقد أفلح وليم تل فى الفرار من حراسه أثناء هبوب عاصفة .. ونراه يروى قصة فراره لصياد من زملائه على ضفة بحيرة لوسيرن : «كانوا ينوون أخذى إلى سجن (كوسناخت) ، فلما هبت العاصفة حلوا وثاق . فقد كنت الوحيد الذى يستطيع قيادة زورقهم خلال الامواج الثائرة .. فوجهت دفته نحو أقرب جرف ، وحين اقتربنا ألقيت بنفسى إلى الجرف ثم دفعت الزورق بقدمى إلى لجة البحر ورحمة الأمواج من جديد !»

الصياد : وماذا تعتزم أن تفعل الآن ؟

تل : فعلة سوف تجرى على فم كل إنسان !

* * *

☐ **فاذا** كان المنظر التالى فقد رقد البارون أتنجهويزن يحتضر ، والتف نفر من الفلاحين حول فراشه :

أتينجهويزن : ان عهد النبلاء قد ولى ، وحل عهد الشعب .. ان الحرية تلوح بعلمها المنتصر عاليا .. فاصمدوا معا يارجال .. اصمدوا الى النهاية . كونوا واحدا .. كونوا واحدا ..

ويلفظ نفسه الاخير .. بينما يصل رودينز وفى عزمه أن ينبىء عمه بتحول قلبه الى صفه .. لكنه يصل متأخرا ! وحين يجد عمه قد مات يبشر الفلاحين بأنه سوف يحارب فى صفوفهم . ان له الآن هدفا شخصيا من القتال ، فقد اختطف رجال الحاكم حبيبته برتا وذهبوا بها الى مكان مجهول !

أرنولد (ابن الشيخ الذى فقأ الحاكم عينه) : تعال ، تول قيادتنا ..

رودينز : سلحوا أنفسكم أولا . وانتظروا إشارتى النارية فوق قمة الجبل .. وحين ترونها كونوا متأهبين للانقضاض على الطغاة من عل . وعندئذ يكون النصر حليفنا !

* * *

ويذهب وليم تل ، فيلبس منطقة قوسه ويحمل سهامه فى يده . وينحنى فوق نتوء فى أعلى الجبل ، يشرف على الممر الذى ينتظر أن يمر فيه جسلر . فى طريقه الى سجن «كوسناخت» !

الطريق مزدحم بالمارة .. من صيادين ، وفلاحين ، وشحاذين . وأدلاء الجبل ، وموكب عروسين .. وأخيرا يقبل جسلر وحاشيته .. وإذا طريقه قد اعترضته فلاحة تدعى «أرمجارت» يصحبها أولادها السبعة :

أرمجارت : الرحمة يا مولاى .. عفوك !.. عفوك !

جسلر : ابتعدى عن طريقى ، ودعينى أمر !

ارمجارت : زوجى ملقى فى السجن . وأطفالى يصرخون من الجوع .. فلتشفق يا مولاى عليهم وتطلق سراحه !

جسلر : الزمى جانب الطريق يا امرأة ، والا فبحق السماء لن أتردد فى أن أطأك بحوافر جوادى !

أرمجارت : حسنا ، فلتطأ بجوادك جثتنا !

(وتلقى بأطفالها ثم بنفسها على الأرض فى طريقه)

جسلر : لقد كنت حاكما متهاونا مع هذا الشعب .. ولكنى منذ الساعة سوف أتغير. سأصدر قانونا جديدا بـ ..

□ وفى هذه اللحظة يصمى صدره سهم نافذ ، فيضع يده على موضع قلبه ويقول بصوت متحشرج : «إنها فعلة وليم تل !»

أرمجارت : لقد مات ، مات !.. انه يسقط من جواده ..!

جسلر : أواه يا الهى ، ارحمنى !

أرمجارت : انظروا يا صغار .. هكذا يموت الطغاة !

ـ ٥ ـ

□ ويشعل روديتز النار فوق قمم التلال ، اشارة لقومه ببدء معركة الحرية .. فيهب الفلاحون المسلحون والعمال ليهدموا ما شيد من سجن ألتدورف ، ويقوضوا غيره من القلاع التى أقامها الطغاة لاعتقال الاحرار .. وأثناء ذلك يعثر الثوار على الحسناء «برتا» سجينة فى احدى تلك القلاع ، فينقذونها فى اللحظة التى كان فيها بناء القلعة يوشك أن ينهار فوق رأسها وقد اشتعلت فيه النيران ..

وتأتى الانباء بأن الامبراطور قد قتل !

فيرست : الامبراطور؟ لم يكن ثمة داع لذلك !.. ان كفاحنا كان ضد الحاكم لا الامبراطور. ومن ذا الذى اجترأ على ارتكاب هذه الجريمة البشعة؟

فلاح : ارتكبها ابن أخيه !

فيرست : ولماذا فعل ؟
الفلاح : بدافع الغيرة .. والتنافس على العرش !
فيرست : هذا أمر لا دخل له بكفاحنا .. إن كفاحنا من أجل الحرية .. والرجل الذى ندين له بحريتنا هو وليم تل !
الفلاح : آه ، وليم تل .. فلنذهب إليه فى بيته لنحييه باعتباره منقذ وطننا !

* * *

☐ **فإذا** كان المنظر التالى فنحن فى كوخ وليم تل مع زوجته وولديه :
الزوجة : يا ولدى العزيزان .. أبوكما بعود اليوم ! إن وطننا يدين له بحريته ..
والتر (الابن الذى حمل التفاحة فوق رأسه هدفا لسهم أبيه) : وأنا أيضا يا أماه أديت نصيبى فى هذا الكفاح **(تقبله أمه ، بينما يظهر بالباب راهب غريب تبدو عليه سيماء الجوع والاعياء)**
الابن : ادخل أيها الأب الطيب . سوف تعطيك أمى طعاما ..
الراهب (للزوجة) : هل أنت وحيدة ؟ أين زوجك ؟
الزوجة : إنى أنتظره بين وقت وآخر . ولكن مم تشكو يا سيدى ؟.. فى نظراتك شىء ينذر بالشر ! لا تلمس ثيابى أيها الراهب !
الابن (يهب واقفا) : أماه . ها هو أبى قادم !
الابن الثانى (يلحق به فى الخارج) : أبى !
☐ **يدخل وليم تل ومعه ولداه اللذان هرعا لاستقباله .. فلا تكاد زوجته تقبله** وقد لمعت فى عينيها دموع الفرح بعودته سالما ، حتى يسأله الراهب فى اهتمام :
الراهب : هل أنت «تل» البطل الذى قتل الحاكم وحرر شعبه ؟
تل : نعم أنا هو . ولست أخفى هذه الحقيقة عن إنسان !
الراهب (وهو يأخذه جانبا) : أنا أيضا قتلت عدوا : الإمبراطور !

تل : أنت ، دوق أستريا ؟ قاتل عمك ؟.. وما تزال على قيد الحياة ؟ ومازال الشمس تشرق عليك ..؟

☐ إن القتل بدافع المطامع الشخصية شيء يختلف تماما عن الاغتيال من أجل قضية الحرية !.. ومع ذلك فإن وليم تل تأخذه الشفقة على دوق أستريا فيرشده إلى الطريق الذى يسلكه كي يجتاز الحدود سالما !.. ثم يلتفت إلى زوجته (التى تجهل شخصية الراهب) قائلا لها : «اعطى هذا الرجل الفقير كي يأكل .. فأمامه طريق طويل شاق !.. وأديرى وجهك كي لا ترى أى سبيل يسلك !»

وتقبل الجماهير على كوخ وليم تل متظاهرة محيية ، فتمتلىء بهم التلال والوديان المشرفة على الدار .. وكان بينهم رودينز وبرتا :

الجماهير : عاش وليم تل ، درعنا ومنقذنا !

برتا : أيها المواطنون ، أيها الرفاق .. أقبلونى عضوا فى عصبة الأحرار !

الجماهير : مرحى ، مرحى .. قبلناك !

برتا : والآن أعطى يدى بملء حريتى إلى رودينز ..

رودينز : ومنذ هذه اللحظة أطلق جميع عبيدى أحرارا ! !

(ســتار)

نزاهة الحكم !

| المفتش العام |

نيكولاى جوجول

THE REVISOR

By

N. GOGOL

المؤلف

.. هو «نيكولاى ڤاسيليفتش جوجول» ، ولد فى أوكرانيا (القسم الجنوبى من روسيا) يوم ٣١ مارس سنة ١٨٠٩ ، من أصل قوزاق .. ومنذ صباه ظهرت عليه أعراض التهوس الصوفى المنتشر بين أفراد الجنس «السلافى» ..

وبعد أن تلقى علومه فى موطنه الأصلى انتقل سنة ١٨٢٨ إلى العاصمة «سانت بطرسبرج» ـ ليننجراد الآن ـ حيث عمل فترة من الوقت كاتبًا صغيرًا فى إحدى وظائف الحكومة .

وفى العام التالى ، وكان فى سن العشرين ، نشر ديوان شعر من نظمه أطلق عليه «ليالى الريف» .. لكن نقاد الصحف قسوا فى نقده فعمد إلى شراء نسخ الكتاب جميعًا من الأسواق وأحرقها عن آخرها ! !

وفى سنة ١٨٣٤ وطد مجده الأدبى بنشر مجموعة من القصص باسم «مرجورود» تدور حول الحياة فى أوكرانيا وبلاد القوقاز ، من بينها قصة «تاراس بولبا» التى تعتبر بمثابة حجر الأساس للقصة الروسية الطويلة !.. فلقيت المجموعة من ترحيب النقاد والقراء ما شجع مؤلفها على التفكير جديًا فى احتراف الأدب .

ثم أعلن جوجول عن فكرة مبتكرة لكتابة التاريخ بطريقة جديدة ! ورغم أنه لم ينفذ مشروعه فإنه تلقى على الفكرة المقترحة درجة «أستاذ» فى التاريخ بجامعة بطرسبرج !.. لكن التجربة أثبتت أنه لم يخلق ليكون مدرسًا .. ففقد منصبه !

وعاد يواصل انتاجه الأدبى ، من الشعر والقصص ، فكتب تحفتيه الخالدتين : «المفتش العام» ـ وهى المسرحية الكوميدية الساخرة التى أقدمها لك فى هذه الصفحات باسم «نزاهة الحكم» ـ وقد وضعها سنة ١٨٣٦ .. ثم «أرواح ميتة» ، القصة الطويلة الصوفية التى تعتبر من أشهر ما كتب ، وقد أصدرها سنة ١٨٤٢ .

وقد عاش جوجول خارج وطنه عشر سنوات (من ١٨٣٦ إلى ١٨٤٦) قضى أكثرها فى روما ∴ وفى سنواته الأخيرة غشيت عقله غمامة من الانقباض والتصوف الدينى جعلته ينظر إلى إنتاجه الأدبى باعتباره «خطيئة» كبرى ، فأتلف مخطوطاته ـ ومنها الجزء الثانى من «أرواح ميتة» ! ـ وعاش فى موسكو منهوك الجسم والنفس من فرط افراطه فى الصوم والصلاة ، حتى مات فى ٣ مارس سنة ١٨٥٢ .

* * *

شخصيات الرواية

انطون انطونوفيتش	: («المأمور» أو حاكم بلدة صغيرة)	Anton Antonovitch
أنا اندريفنا	: (زوجته)	Anna Andreyevna
ماريا	: (ابنتهما)	Marya
لوقــا	: (ناظر مدرسة البلدة)	Luka
خليستاكوف	: (موظف فى العاصمة «سانت بطرسبرج»)	Khlestakov
أوسيب	: (خادمة)	Osip
بوبشنسكى	: (سيدان من أهل البلدة)	Bobchinski
دوبشنسكى	:	Dobchinski

ثم القاضى .. ومفتش الصحة .. ورئيس جمعية البر .. ووكيل البريد .. والكونستابل .. وساقى الحانة .. الخ

زمان الرواية : منتصف القرن الماضى
مكان الرواية : بلدة صغيرة فى روسيا

* * *

الفصــل الأول

نحن فى بلدة صغيرة من بلاد الأقاليم فى روسيا القيصرية ، يتمثل فى كبار موظفيها الرسميين ، وتجارها : فساد الذمم .. والغش .. والاحتيال .. والغباء .. والنفاق ! .. فهم أشبه بعصابة من الأنذال : المأمور والقاضى يرتشيان .. ووكيل البريد يتجسس على مكاتبات الناس فيفتح جميع الخطابات ! .. ومفتش الصحة يسرق أموال المستشفى ! .. وناظر المدرسة يتلاعب بميزانية التعليم ! .. والتجار يغشون فى بضائعهم ! .. وبالاختصار فإن كل شخص فى البلدة يحتال على غيره .. !

وتجرى الحال على هذا المنوال زمنًا .. وذات يوم تقذف الأقدار فجأة حجرًا يحدث اضطرابًا فى المستنقع الراكد ـ مستنقع هذا الفساد الشامل ! ـ فإن صديقًا «للعصابة» يقيم فى العاصمة (بطرسبرج) يخطر افرادها بأن الحكومة تعتزم ارسال «مفتش» من طرفها كى يتفقد الأحوال فى البلدة .. وأن هذا المفتش سوف يأتى متنكر ! ! !

يا للطامة الكبرى ! .. من يدرى ؟ قد يكون المفتش مندسًا بينهم الآن وهم عنه غافلون !؟

ويجتمع أفراد «العصابة» فى منزل المأمور ليتدبروا الموقف :

المأمور : أيها السادة ، إنها مسألة خطيرة للغاية !.. لكنى بادرت من جانبى فاتخذت جميع الاحتياطات الكافية لستر موقفى .. ونصيحتى إليكم جميعًا أن تحذوا حذوى (يستدير إلى مفتش الصحة) : وبهذه المناسبة لا تنس يا «أرتيمى فيليبوفتش» أن تأمر بغسل طواقى الرأس الخاصة بمرضى المستشفى ، كى لا تبدو فى قذارة وسواد مكنسة المدفأة !

مفتش الصحة : سأرى ما يمكن عمله فى هذا الصدد ..

المأمور : ويحسن أن تشترى بعض الدواء لتدخل فى روع المفتش إنك تحاول شفاء المرضى بدلاً من ترك الطبيعة تأخذ معهم مجراها ..!

مفتش الصحة : أشكرك على النصيحة ..

المأمور (موجهًا كلامه إلى القاضى) : وأنت يا «ليابكين تيابكين» ، انقل الأوز والبط من فناء المحكمة ، فقد صارت رائحة المكان عفنة لا تطاق !

القاضى : حسنًا .. سوف انقلها إلى المطبخ .

المأمور : وأوص كاتبك بأن يتناول «شربة» مطهرة . فإن رائحة أنفاسه كريهة !

القاضى : سأحاول .. لكنى أخشى أن يكون مستعصيا على التطهير !

المأمور : وانت يا «لوقا لوفتش» ، يجب أن تتخلص من مدرس التاريخ . فلست أحب الطريقة التى يهرش بها لحيته ، ويلوى سحنته .. وقد يحسب المفتش أنه يسخر منه !

ناظر المدرسة : حسنًا جدًا .. وسوف أتولى تدريس التاريخ بدلاً منه ..

المأمور : هل لك المام بالتاريخ ؟

ناظر المدرسة : كلا . لكنى لا اهرش لحيتى ولا الوى سحنتى !

المأمور : إن أسوأ ما فى الأمر كله أن المفتش يأتى متنكرًا !.. واذن فإنه يحتمل أن يفاجئنا فى أية لحظة !

وهنا يدخل اثنان من «أعيان» البلدة يعدوان لاهثى الأنفاس ، هما «بوبشنسكى» ، و «دوبشنسكى» :

بوبشنسكى : إنه هنا ، فى هذه البلدة !

دوبشنسكى : فى الفندق !

بوبشنسكى : لقد رأيته بعينى !

دوبشنسكى : كلا ، بل أنا الذى رأيته أولاً !

المأمور (محتدا) : حسناً ، حسناً .. كلاكما رآه .. استمرا !

بوبشنسكى : إنه شاب فى مقتبل العمر ..

دوبشنسكى : أنيق الهندام ، وسيم الخلقة ..

بوبشنسكى : حين رأيته لم أملك نفسى فشهقت من فرط اعجابى به !

دوبشنسكى : بل أنا الذى شهقت اعجاباً به !

المأمور (يكاد يفقد صبره) : حسناً . كلاكما شهق اعجاباً به .. وماذا حدث بعد ذلك ؟

بوبشنسكى : ناديت صاحب الفندق ..

دوبشنسكى : وسألته : من يكون هذا الشاب ؟

بوبشنسكى : فأجاب : هذا الشاب من كبار موظفى الحكومة ، إسمه «ايفان الكسندرو فتش خليستاكوف» .. وهو شاب غريب الأطوار ، لا يدفع فواتير الحساب المطلوبة منه ! إنه هنا منذ أسبوعين ، وقد أتى من العاصمة !..

المأمور : موظف حكومة ؟ ومن العاصمة ؟ أواه يا الهى !

مفتش الصحة : ماذا عسانا أن نفعل لمواجهة هذا المأزق ؟ هل نذهب جميعاً إلى الفندق ؟

المأمور (يسترد ثباته وثقته بنفسه) : كلا ، بل اتركوا الأمر لى . ساعجم عود

نشاب بطريقتى الخاصة .. وحسبكم أنتم أيها السادة أن تعتنوا بالأمور الأخرى .
حفروا حفرًا فى أماكن متفرقة من الشوارع حتى يظن أننا نتولى اصلاح البلدة .
وأعيدوا المساجين جميعًا إلى السجن . وأوصوا الجنود بألا ينسوا ارتداء سراويلهم
حين يخرجون إلى الأماكن العامة ..

وإذ يلقى المأمور لسامعيه بهذه «النصيحة» ، يهرع منصرفًا .. ليزور مفتش
لحكومة فى الفندق !

الفصـــل الثانى

.. فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى غرفة صغيرة من غرف الفندق يشغلها
نشاب «خليستاكوف» . الذى نعلم من حديث خادمه «أوسيب» مع نفسه أنه
ليس مفتشًا حكوميًا منتدبًا لتفقد مرافق البلدة . وإنما هو صاحب مكتبة يقضى
مدة اجازته متجولاً . وقد أنفق كل ما معه من مال ولم يعد يستطيع أن يدفع
حساب الفندق . مما اضطر صاحب الفندق إلى أن يهدده بالطرد :

أوسيب (يحدث نفسه وهو راقد على فراش سيده !) : يا للشيطان ! إنى
أكاد أموت جوعًا . لقد انقضى شهران منذ غادرنا العاصمة . وقد بدد سيدى
كل ماله فى الطريق . وها نحن أولاء لا نملك روبية واحدة !.. إن الأب المسن
لا يبخل على إبنه بالمال . لكن هذا لا يكاد يتلقاه حتى ينفقه عن آخره ثم يضطر
لأن يرهن ثيابه إلى آخر سترة !.. والان . هذا هو صاحب الفندق يعلن أنه لن
يقدم لنا طعامًا قبل أن ندفع ثمنه مقدمًا .. آه . ها هو سيدى يطرق الباب .

(ينهض من الفراش من فوره .. ثم يدخل خليستاكوف) :

خليستاكوف : إنزل واطلب لنا طعامًا نأكله ..

اوسيب : اوه . كلا .. لن يسمح لنا صاحب الفندق بأى طعام . فهو

يصفنا بأننا نصابون ويهدد بالقائك فى السجن !

خليستاكوف : فلتذهب إلى الشيطان !.. استدع صاحب الفندق ! (**يخرج أوسيب**) لكم أنا جائع !.. وقد غشنى ذلك الضابط اللعين اثناء اللعب وتركنى مفلسًا !. يا لها من بلدة تعسة صغيرة . إن حوانيت بقاليها لا تقرض بالأجل !

(يدخل أحد السقاة)

الساق : صاحب الفندق يسأل عما تريد ..

خليستاكوف : أرجو أن تحضر لى غدائى على الفور ، فعندى عمل ينبغى أن أنجزه بعد الغداء مباشرة .

لكن الساق يجيب بأن صاحب الفندق يرفض امداده بمزيد من الطعام ، بل ويعتزم ابلاغ الأمر إلى المأمور ! .. وفيما هما يتحدثان يدخل خادم آخر حاملاً الطعام المطلوب ! .. ثم يدخل فى أثره «أوسيب» معلنًا لسيده أن المأمور قد حضر ، وأنه يبغى مقابلته !

خليستاكوف : (**محدثًا نفسه**) : ماذا؟ إذن فقد وشى صاحب الفندق بى ؟ .. فلأتخذ مظهر الترفع واسأله كيف جرؤ أن ..

وهنا يدخل المأمور واجف القلب ، منتفخ الجيب برشوة دسمة !.. فيستقبله الشاب واجف القلب بدوره ، ظنا منه أن المأمور قد جاء ليلقى القبض عليه بسبب عجزه عن دفع دينه للفندق !

المأمور (فى خضوع وتذلل) : أرجو أن تكون بخير يا سيدى ..

خليستاكوف (فى تهيب) : أشكرك .

المأمور : من واجبى ، بصفتى مأمور البلدة ، أن أطمئن إلى أن زائريها يلقون المعاملة التى يستحقونها ..!

خليستاكوف : (**يحمل قول المأمور على محمل آخر**) : إنى جد آسف

ـ سيدى ، ولكن صدقنى إنى كنت مجبرًا .. هذا فضلاً عن أن الطعام هنا فاسد ، والغرفة تموج بالحشرات ..

المأمور : لعلك إذن تود الانتقال إلى مسكن آخر؟

خليستاكوف (يهمس لنفسه مرتاعًا) : لابد أنه يقصد السجن ! **(يحاول أن يربح المعركة بالتحدى ، والتظاهر بالغضب)** كيف تجرؤ يا سيدى؟ ألا تعلم أنى موظف رسمى من العاصمة .. وأنى .. وأنى ...؟

المأمور (محدثًا نفسه فى انزعاج) : يا للسماء ! لكم هو منفعل ! لابد أنه قد عرف كل شيء .. يبدو أن أولئك التجار الملاعين قد وشوا بى لديه !؟

ويلحظ الشاب تردد المأمور وانزعاجه فيمضى فى ثورته المفتعلة مهددًا بإبلاغ الأمر إلى وزير الداخلية !.. وهنا يوقن المأمور أن أمره قد افتضح . فيخر على ركبتيه جاثيًا ويهتف مذعورًا :

المأمور : أتوسل إليك أن ترحمنى يا سيدى ! أى ضر فى أن أقبل هدية صغيرة بين حين وآخر؟ إننى رب أسرة . ولى أولاد أعولهم !.. ولا تصدق يا سيدى ما قد يفتريه خصومى من انى أظلمهم واجلد نساءهم . إنهم رعاع كاذبون !

خليستاكوف : أى شأن لى بخصومك وبالنساء اللواتى تجلدهن؟ لا تحاول أن تخدعنى .. والأن إصغ إلى : إنى سوف أدفع حسابى لهذا الفندق ، لكنى فى الوقت الحاضر لا أملك المبلغ المطلوب .. وهذا سبب بقائى هنا حتى اليوم .

المأمور (محدثًا نفسه) : يا للماكر الخبيث ، إنه يسهل مهمتى **(يخرج من جيبه كيس نقوده)** .

خليستاكوف : أتعرض على قرضًا؟

المأمور : أتوسل إليك يا سيدى ألا تجد فى ذلك غضاضة ! **(فى لباقة)** فما دامت نقودك قد نفدت فإنى فى خدمتك . كم من المال يلزمك فى الوقت الحاضر؟

خليستاكوف : ما قولك فى مائتى روبية ؟

(يعطيه المأمور المائتى روبية . ويدس له معها مائتين أخريين !)

خليستاكوف : أشكرك .. الآن أستطيع أن أتخلص من صاحب الفندق !

المأمور : نعم يا سيدى .. والواقع أن هذه الغرفة رطبة . وصغيرة . ومعتمة !.. فهلا تعطفت على فقبلت ضيافتى فى منزلى . فى غرفة فسيحة مريحة هادئة عذبة الهواء ؟ أرجو ألا تجد فى ذلك غضاضة .

خليستاكوف : أبدًا . بالمرة !

المأمور : إن زوجتى وابنتى سوف ترحبان بهذا الشرف العظيم ..

خليستاكوف : زوجتك ؟ وابنتك ؟.. بالتأكيد . سوف يسرنى أن أنتقل إلى منزلك !

الفصل الثالث

ويفطن المأمور إلى أن «المفتش الحكومى» المزعوم يفضل مواصلة مهمته متخفيا !.. فيعتزم أن يبادله أغضاء باغضاء . ويغرقه فى طوفان من البيانات الكاذبة عن سير الأمور فى البلدة !.. وهكذا لا يرى صاحبنا بأسًا فى أن يدعو ضيفه إلى زيارة مختلف المؤسسات والمرافق العامة . مطمئنًا إلى اغضائه عن كل فساد ..

وتتم الجولة كما رسم المأمور خطتها .. ثم يستقر بالرجلين المقام آخر الأمر فى بيت المأمور ، وحولهما بقية رجال «العصابة» من كبار الموظفين :

خليستاكوف : يا لها من مؤسسات رائعة حقًا !.. فى البلاد الأخرى التى زرتها لم يرنى احد شيئًا يماثلها !

المأمور (منتفخ الاوداج) : فى البلاد الأخرى لا يفكر المسؤولون إلا فى

مصالحهم الخاصة .. أما هنا فنحن لا نبغى إلا أن نظفر بتقدير الحكومة ورضا المواطنين !

خليستاكوف : إن غداءنا اليوم كان فاخرًا . والسمك الذى أكلناه كان لذيذًا للغاية ! فى أية مؤسسة تناولنا غداءنا؟ ألم يكن ذلك فى المستشفى؟ اذكر أنى رأيت أكثر سراير المرضى فارغة .. أو شفى أغلب المرضى؟

المأمور : نعم .. فمنذ عينت مأمورًا والمرضى يتماثلون للشفاء بسرعة هائلة . لا بفضل الطب وإنما بفضل الأمانة والنظام فى التمريض .. شكرًا لله . إن كل شىء هنا يسير على خير وجه وادعاه إلى الارتياح !.. وقد كان أى مأمور غيرى خليقًا بأن يهتم بمصالحه الخاصة . أما أنا فصدقنى يا سيدى أنى حين اضطجع فى فراشى لأنام أستهل صلاتى لله مبتهلاً : «أواه يا الهى . عسى أن تلحظ الحكومة حلاصى وهمتى فى عملى فترضى عنى ..!» ثم أخلد للنعاس مستريح الضمير ..

خليستاكوف : ألا توجد هنا نواد للعب الورق؟

المأمور : معاذ الله يا سيدى !.. إنك فى بلدتنا لا تسمع عن شىء يقال له نوادى القمار . ولا تقف لها على أثر !.. بل إنى اشمئز من مجرد رؤية ورق اللعب . ولم تلمسه يداى طيلة عمرى !... وقد حدث أن بنيت لأولادى ذات يوم بيتًا من ورق اللعب المقوى . فلبثت الليلة بأكملها فريسة للأحلام المزعجة !

لوقا (محدثًا نفسه) إن اللعين قد ربح منى فى القمار أمس فقط مائة روبية !

القاضى (يدخل مضطربًا) : لى الشرف أن أقدم نفسى إليك يا سيدى . أنا قاضى البلدة منذ عشرين عامًا . وقد أنعم على بوسام «فلاديمير» من الطبقة الرابعة .

خليستاكوف : وما هذا الذى تحمله فى يدك؟

القاضى (وقد سقطت من يده بضع أوراق «بنكنوت» من فرط اضطرابه) : لا شىء !.. لا شىء !

خليستاكوف : كيف لا شيء؟ إنى أرى نقودًا سقطت منك على الأرض !؟

القاضى (محدثًا نفسه وهو يرتجف) : يا للسماوات ، لقد ضعت !.. هأنذا أرى نفسى فى قفص الاتهام ، وعربة السجن فى طريقها إلى كى تأخذنى إلى المنفى السحيق !

أما خليستاكوف فيجمع الأوراق المالية المتناثرة على الأرض ، مستأذنًا القاضى فى أن يأخذها «كقرض» ، فإنه قد أنفق نقوده التى أحضرها معه عن آخرها !.. ويعده بأن يردها إليه بمجرد عودته إلى العاصمة .. لكن القاضى يحتج قائلاً أن شرف إقراض المفتش الكبير يكفيه !

ثم يدخل فى أثره وكيل البريد ، مرتديًا سترته الرسمية ، وبعد حديث قصير مع المفتش يرى الأخير أن «يقترض» منه بدوره ثلاثمائة روبية .. فيحصيها الوكيل ويسلمها إليه ثم ينسحب ..!

ويتعاقب على دار المأمور بقية أفراد «العصابة» .. وكلهم يستعطفه كى يغمض عينيه عن مخازيهم ، ويفتح جيبه لرشاواهم !.. وهو لا يرى بأسًا فى إجابتهم إلى الالتماسين !.. ومع كل قادم يتضخم جيب «المفتش» أكثر فأكثر ، وتزداد غطرسته شيئًا فشيئًا ..!

خليستاكوف (وقد انفرد بنفسه بعد خروج الجميع) : ما أكثر الحمق فى هذه البلدة . إنهم يحسبوننى «مفتش الحكومة» !.. فلأكتب إلى صديقى «تربابتشكين» فى العاصمة كى يضحك معى من غفلتهم .. ترى كم بلغ مجموع المال الذى اقترضته من هؤلاء البلهاء؟ أوه .. أكثر من ألف روبية !!

ويجلس ليكتب الخطاب إلى صديقه .. لكن خادمه الأمين «أوسيب» يدخل لينبه إلى أن الحيطة تقتضى أن يبادرا بالاختفاء من البلدة قبل أن يفتضح أمرهما ويكتشف الجميع حقيقة شخصيتيهما !.. فيقره على رأيه ويوصيه بأن يحمل

الخطاب إلى دار البريد ثم يحضر عربة ذات جوادين سريعين كى تقلها فى رحلتها ..

وفجأة يدخل نفر من تجار البلدة وقد أحضروا فى جعبتهم للمفتش هدايا سخية من النبيذ والكعك واللحم ! .. ويشكون إليه المأمور الذى يظلمهم ويبتز أموالهم ، طالبين من المفتش أن يسعى لعزله من منصبه .. فيعدهم هذا بتنفيذ رغبتهم ، لكنه يرفض هداياهم محتجًا بأنه لا يقبل رشوة ! .. أما لو قدموا إليه «قرضًا» بثلاثمائة روبية مثلاً ، فهذا شىء آخر ! !

ويفعلون .. ثم ينصرف كل منهم إلى سبيله !

وبينما الرجال يمطرونه هكذا برشاواهم ، تمطره النساء بقبلاتهن ! .. ولا سيما زوجة المأمور «أنا» وابنتها «ماريا» ، اللتين تحمى المنافسة بينهما وتشتد ! .. أما هو فيوزع ابتساماته وقبلاته عليهما بالعدل والقسطاس !

وفيما الشاب منهمك فى عد نقوده ، تدخل «ماريا» وقد بدا عليها الانفعال :

ماريا (مستدركة) : أوه !

الشاب : ما الذى يزعجك ؟

ماريا : لا شىء .. كنت أحسب أمى هنا . آسفة لكونى قطعت عليك أعمالك الهامة ..

الشاب : لكن عينيك أجمل من أعمالى الهامة !

ماريا : إنك تخاطبنى بلهجة شبان العاصمة !

الشاب : هل تسعدينى فتسمحين لى بأن أقدم إليك مقعدًا ؟ ولكن ، كلا .. إنك تستحقين «عرشًا» ، وليس مقعدًا ! .. إنى أهبك حبى ، الذى غرسته فى قلبى نظرتك الأولى !

ويطبع قبلة على كتفها ، وحين تهم بالنهوض متظاهرة بالغضب يركع أمامها على ركبتيه مستعطفًا .. وفى هذه اللحظة تدخل أمها !

ماريا : لا تؤاخذيني يا أماه ، فنحن إنما كنا ..

الأم : نعم ، أعلم ذلك .. إنما كنتما ...

الشاب : الخطأ كله خطئي أنا يا سيدتي ..

الأم (في تهكم) : بلا شك !.. اخرجي من هنا يا ماكرة يا ..

(تخرج الابنة ، فيدير الشاب في الحال دفة غزله إلى الأم) :

الشاب : أيتها المرأة العذبة .. دعيني أقبل شفتيك اللتين تقطران شهدًا !

المرأة : كنت أحسبك واقعًا في هوى ابنتي؟

الشاب : كيف أمكن أن يجول بخاطرك شيء كهذا؟

المرأة (في دلال) : ولكن ، يا سيدي المفتش .. إنني متزوجة كما تعلم !

الشاب : وماذا في ذلك؟ (يخر جاثيا على ركبتيه) سيدتي ، وأنا راكع أمامك أتوسل إليك أن تمنحيني (يلمح ماريا تدخل الغرفة وتقف على عتبتها مذهولة ، فيستطرد مصححا) : يد ابنتك !

أما الأم فتوبخ ابنتها على اقتحامها الغرفة هكذا دون استئذان !.. ثم يدخل المأمور لاهثا يطعن في مسلك تجار البلدة المفترين الذين يغتابونه وينسبون إليه اتهامات هو بريء منها كل البراءة !

لكن زوجته تقاطعه لتفضي إليه بالنبأ السعيد الذي يذهله : إن الضيف العظيم قد شرفهم بطلب يد ابنتهم لتكون زوجة له !

ويفيق المأمور من ذهوله ليجد «الخطيبين» متعانقين ، فيمنحهما بركته ودعاءه .. في الوقت الذي يدخل فيه الخادم «أوسيب» ليعلن لسيده أن العربة قد وصلت .. فينبيء الضيف مضيفه بأنه سيتغيب يومًا أو يومين كي يزور عما غنيا من أعمامه يهمه أن يبارك زواجه !..

وبعد أن يوصيهم بألا يقلقوا لغيابه ويودع «خطيبته» وداعًا حارًا تنطلق العربه به وبخادمه بين تهليل أفراد الأسرة وتحياتهم ، وأطيب تمنياتهم ..

الفصـل الرابع

فإذا كان الفصل الرابع فنحن فى دار المأمور أيضًا ، وقد جلس رب البيت وزوجته وابنتهما يتحدثون فى معدات الزفاف المرموق .. ويدخل ضابط بوليس استدعاه المأمور لمقابلته ، فيبتدره قائلاً :

المأمور : ايفان كاربوفتش ، أريدك أن تحضر إلى هنا أولئك التجار الأنذال ! أو يجرؤون على الوشاية بى لدى مفتش الحكومة؟ سنرى من الذى يضحك أخيرًا ، ومن الذى شرفته السماء فنحت ابنته زوجًا ليس له بين رجال الدنيا مثيل !.. فلتعلن النبأ على رؤوس الاشهاد .. اخطر به كل إنسان ، واذعه بأعلى صوت على مسامع الجميع .. بل دق الأجراس احتفالاً به !.. وليذهب خصومى جميعًا إلى الشيطان ، فإنى سوف انتصر عليهم .. نعم ، سأنتصر :.

وينسحب ضابط البوليس .. فيستأنف المأمور وزوجته حديثهما العذب ، ويهدهدان آمالها فى المستقبل الضاحك الذى ينتظرهما . إنهما لن يبقيا طبعًا فى هذه البلدة الصغيرة المغمورة ، وإنما سينتقلان إلى العاصمة ليعيشا مع زوج ابنتهما العظيم !..

وفجأة يدخل تجار البلدة ليهنئوا المأمور بخطبة ابنته ، فيستقبلهم بوابل من عبارات القدح والتوبيخ .. فيعربون له عن ندمهم ويسألونه الصفح والمغفرة ، واعدين اياه بالتكفير عن فعلتهم باغداق هداياهم الثمينة عليه وعلى ابنته .. فيوصيهم بألا ينسوا ذلك ، إذا طمعوا فى الصفح !

وينسحبون متخاذلين ، بينما تتقاطر أفواج متلاحقة من المهنئين «والمنافقين» ،

الذين لا يكاد الواحد منهم ينصرف من البيت حتى يطلق لسانه باقذع ألفاظ البغضاء والاحتقار للمأمور وأسرته ، والتنديد بما طرأ على مسلك زوجته من عجرفة وترفع مفاجئين !

أما فى داخل البيت ، فأنت لا تسمع غيرعبارات الملق والمداهنة : «يا له من عريس محظوظ !» .. «وعروس محظوظة !» .. «إذا فسوف تنتقلون جميعًا إلى العاصمة ؟» .. «لا تنس أن تذكرنى بكلمة طيبة حين تقابل القيصر !» .. «واذكرنى أنا أيضًا» .. «وأنا !» .. «من قال أن عصر المعجزات قد انقضى !؟» .. ويدخل مفتش الصحة فيتساءل : «ولكن .. أين العريس السعيد ؟»

المأمور : لقد انطلق لتوه كى يحصل على بركات عمه الغنى بمناسبة الزواج .. وسيعود بعد يوم أو اثنين .

وكيل البريد (مقاطعا وهو يدخل لاهثا ، ملوحا بخطاب مفتوح فى يده) : سيداتى وسادتى .. إنه لن يعود ابدا ! .. إن ذلك الافاق الذى حسبناه «مفتش الحكومة» ليس مفتشًا ، ولا موظفًا على الاطلاق .. إنه نصاب كذاب ونذل مزور ! .. لقد اكتشفت هذه الحقيقة من خطاب كتبه إلى العاصمة ، فخشيت أن يكون فى داخله تقرير عن نقائص اكتشفها فى أعمالنا .. فشعرت بدافع لا يقاوم يغرينى بفضه ..

المأمور : أو جرؤت على فض خطاب مفتش عظيم مثله ؟

وكيل البريد : إنه ليس مفتشًا ولا عظيمًا كما ذكرت لكم . وإليكم نص خطابه : «أبادر فاقص عليك أيها العزيز تريابتشكين أطرف ما وقع لى فى رحلتى . لقد صادفنى فى البداية ضابط استدرجنى إلى المقامرة ، فخسرت كل ما كان معى من مال ! .. وحين عجزت عن دفع أجر الفندق كاد صاحبه يلقى بى فى السجن ،

لولا أن شاءت المصادفة أن يحسبنى القوم «مفتش الحكومة» !.. فانقلبت الأوضاع ، وصرت موضع ترحيب الجميع وتكريمهم ! وهأنذا أعيش الان فى بيت المأمور ، مستمتعًا بمغازلة زوجته وابنته !.. والجميع هنا يقرضوننى من المال ما اشاء ، فالمأمور غبى أحمق ، ووكيل البريد مرتش ، ورئيس جمعية البر خنزير يرتدى ثياب إنسان .. إلخ» .

المأمور : لقد ضعت .. ضعت .. سحقنى اللعين سحقًا .. الحقوا به !

وكيل البريد : وكيف نلحق به ؟ لقد كنت أنا الذى أوصيت له بالعربة التى فر بها ، والتى تجرها ثلاثة من أسرع الجياد فى البلدة !

المأمور : يالى من غبى ؟.. إن لى فى الخدمة ثلاثين عاما لم يخدعنى فيها إنسان ، بل لقد خدعت أنا أبرع المحتالين !

زوجة المأمور : لكن ذلك غير معقول يا «انتوشا» !.. إنه خطيب ابنتنا ماريا ؟

المأمور (حانقًا) : خطيب ابنتنا ؟ هراء ؟.. أيتها الإنسانية اشهدى على غبائى ؟.. أنا الذى حسبت ذلك النذل نبيلاً رفيع المقام !.. وهو الآن يدق أجراس عربته التى تنهب به الطريق نهبًا !.. من منكم كان أول من قال إنه «مفتش الحكومة» ؟ أجيبوا !

يشير الجميع إلى بوبشنسكى ودوبشنسكى ، اللذين يعمد كل منهما إلى اتهام الآخر !.. ويسود الهرج والمرج .. وتبدو على الكل علامات الحنق واليأس : إذن فقد ضاعت كل الأموال التى اغدقوها على النصاب اللعين؟.. والبلدة قد صارت أكثر قذارة واهمالاً عما قبل؟.. يا لها من ورطة !.. يا له من مأزق !

وفجأة يفتح الباب على مصراعيه ، ويقف على عتبته حارس يعلن قدوم : «صاحب الفخامة مفتش الحكومة» ..!

.. المفتش الحقيقى !!!

(ســـتار)

مختارات كتابى

تقدم لك كتابها القادم

تعلم كيف تسترخى

و

٥ موضوعات نفسية أخرى

مركب النقص   كيف تقهر الخجل

كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية

الانتصار على الخوف   لماذا انت عصبى

يليها فى كتاب تال الموضوعات التالية :

كل جيدا تعش سليما   كيف تنجح مع النساء

مستقبل زوجك أمانة فى يدك   اخدع نفسك

الرغبة فى الحياة   ارادتك فى متناول يدك   كن متفائلا

كيف تتجنب متاعب الأعصاب المرهقة   هل تتحقق أحلامك

على أعتاب شباب الكهولة   كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة

النجاح فى الحياة كيمياء   السعادة الزوجية

هيستريا الحب المكبوت   الجائعة

سندريلا الخاطئة   الخائفة

الخ .. الخ ..

يوميـــات محتال !

الكسندر أوستروفسكى

DIARY OF A SCOUNDREL

By

ALEKSANDR OSTROVSKI

المـؤلـف

(١٨٢٣ - ١٨٨٦)

ولد «الكساندر نيكولايفتش أوستروفسكي» - في موسكو ، عاصمة روسيا القيصرية ، في ١٢ أبريل ١٨٢٣ ، وتوفى في ضيعته بجهة (كوستروما) في ١٤ يونية ١٨٨٦ . ولما كان والده محامياً فقد ألحقه بكلية الحقوق بجامعة موسكو ، لكن الفتى لم يكن يميل إلى مهنة أبيه فلم يلبث أن هجر الدراسة قبل التخرج ، ليعمل عام ١٨٤٣ كاتباً في المحاكم . لكن «أوستروفسكي» كان دائماً شغوفاً بالمسرح ، كثير التردد على مسرح (مالى) حتى وهو بعد تلميذ فلما نضجت مداركه بدأ يكتب للمسرح ، وكانت أولى محاولاته مشاهد من كوميديا (المفلس) ، نشرتها له إحدى صحف موسكو في عام ١٨٤٧ ، غير أن حكومة القيصر نيقولا الأول منعت تمثيلها على المسرح ، فلم يقدر لها أن تعرض على الجماهير إلا في عام ١٨٦١ . وبسبب هذه المسرحية فقد أوستروفسكي وظيفته في المحاكم وتعرض للمراقبة المستمرة من جانب الشرطة ، فكانت هذه الظروف سبباً في تفرغه الكامل للتأليف للمسرح ، فألف واقتبس نحو ٤٨ مسرحية مثلت غالبيتها على مسرح (مالى) ، وتأثر في الكثير منها بمدرسة الواقعية النقدية التي تزعمها أستاذه العظيم «جوجول» . وفي عام ١٨٧٠ تحول المؤلف إلى كتابة الكوميديات ، ومنها «عذراء الجليد» التي تحولت إلى أوبرا وضع موسيقاها «رمسكي كورساكوف» ، وهذه الكوميديا التي أقدمها إليك في الصفحات التالية . وإلى جانب التأليف ، عكف أوستروفسكي على ترجمة أعمال شكسبير (مثل «ترويض النمرة» ، عام ١٨٥٠) ، كما ترجم أعمال سرفانتس ، وغيرهما من الأدباء الأجانب ، بغية تعريف مواطنيه الروس بانتاجهم . وفي عام ١٨٦٥ أسس «الجمعية الفنية» ، وفي ١٨٧٠ أنشأ رابطة مؤلفي المسرح الروسي ، وفي ١٨٨٢ دعا إلى تأسيس مسرح قومي لبني وطنه ، فلما أنشيء مسرح موسكو الأمبراطوري عين مديراً له (عام ١٨٨٥) . وباختصار يمكن أن يعد أوستروفسكي راعي الحركة المسرحية في روسيا ، ومن أجل هذا أقيم تمثال له في مدخل مسرح (مالى) الكبير في موسكو .

الفصل الأول

☐ **يرفع** ستار المشهد الأول عن غرفة استقبال بمسكن شاب روسى يدعى «جلوموف» .. غرفة مؤثثة تأثيثا بسيطا ، ينم عن فقر مدقع بعد ثراء غابر ، وبها بابان ؛ أحدهما إلى اليمين ويفضى إلى الصالة ، والثانى إلى اليسار ويؤدى إلى بقية غرف المسكن . عندما يرفع الستار يظهر الشاب «جلوموف» واقفا إلى جوار أمه «مدام جلوموفا» التى انهمكت فى كتابة بعض الخطابات .. وقد وقف الخادم «ستيويكا» ساكنا .

جلوموف : استمرى فى كتابة هذه الخطابات يا أمى .

مدام جلوموفا : ليس فى المترل ما يقيم أودنا .

جلوموف : لو نجحت خطتى ، فسيكون لدينا من الطعام ما يزيد على حاجتنا !

وتأمر «مدام جلوموفا» الخادم بأن يذهب إلى المطبخ ، حيث مكانه الطبيعى .. لكنه يعيرها بأنه لم يتسلم مرتبه منذ توفى زوجها ، وأن من واجبها أن تذكر له فضله فى القيام بخدمتها وخدمة ابنها دون مقابل ! .. ثم يستطرد قائلا أنه ما كان ليظل فى هذه الخدمة ، لولا ثقته بأن مخدومه الشاب كفيل بأن يعيد للأسرة مجدها !

وكان «جلوموف» الشاب قد رسم خطته بالفعل .. فقد وجد نفسه ـ عقب وفاة أبيه ـ معدما ، فى مجتمع لا يتطلب النجاح فيه ، سوى ذكاء ولباقة وإدراك للغاية التى يسعى المرء إليها[1] **وقد وجد الشاب هذه الغاية فى الزواج من فتاة**

---

(١) يقصد المؤلف المجتمع الروسى منذ مائة عام ! .. فقد عاش «أوستروفسكى» (١٨٢٣ ـ ١٨٨٦) فى عنفوان العصر القيصرى ، وسخر منه ـ فى الخفاء ـ عن طريق كوميدياته العديدة . وأشهرها هذه التى نقدمها اليوم على هذه الصفحات .

رائعة الجمال - تدعى «ماشينكا» - تقيم فى رعاية عمة عجوز هى «مدام تورمسينا» ، ويدخر لها أهلها بائنة ضخمة تحظى بها عند زواجها ، تربو على مائتى ألف روبل !

ولقد كان صفوة أثرياء (موسكو) يسعون إلى التقرب من هذه الفتاة ، ولكن شابا من أبناء عمومة «جلوموف» - ويدعى «خورشايف» - كان أكثرهم حظوة لديها .. وقد عول «جلوموف» على أن يزيحه من طريقه بأى ثمن ، فأوعز إلى أمه بأن تكتب إلى عمة الفتاة خطابات - بدون توقيع - تتهم «خورشايف» بكل نقيصة ، وتصمه بالطمع فى ثروة «ماشينكا» !.

وكان ثمة هدف ثان لجلوموف ، هو الحصول على منصب مرموق فى السلك السياسى .. وكان لزاما عليه أن يتعرف بنجوم المجتمع الراقى ، لكى يظفر بالمنصب . وقد اهتدى إلى أن لأبيه ابن عم يدعى «مامايف» - هو فى الوقت ذاته عم لخورشايف - يعتبر من أقطاب المجتمع الراقى فى (موسكو) ، فكان عليه أن يتقرب إليه ويكتسب مودته ، دون أن يشعره بغايته . وكان الطريق إلى ذلك هو تدبير لقاء بهذا العم ، يبدو وكأنه وليد المصادفة . وقد علم أن «مامايف» أسير هوايتين ؛ أولاهما تفقد المساكن المعروضة للإيجار دون أن يكون بحاجة إلى استئجارها .. والثانية إزجاء النصح والمواعظ لكل من يلقاه ..

ومن ثم يوعز «جلوموف» إلى خادمه «ستيوبكا» بأن يستدرج العم إلى مسكنه ، بزعم أنه معروض للإيجار ..

* * *

☐ **ويصل** «مامايف» مع خادمه ، فما أن يتفقد المسكن حتى يبدو عليه الاستياء .. ثم يسأل «جلوموف» عن سر رغبته فى تأجير مسكنه ..

جلوموف : لأنه فوق طاقتى المالية !

مامايف : وما الذى دعاك إلى استئجاره منذ البداية .. أو بعد أن ألفت

المسكن الفسيح ، تضطر إلى البحث عن غرفة متواضعة ؟

جلوموف : بل إننى أبحث عن مسكن أكثر اتساعا ..

ويدهش «مامايف» من أمر الشاب ، فيزعم هذا أنه محروم ممن يخلص له النصح ..

مامايف : أليس لديك من يرشدك ؟

جلوموف : ليس لى سوى والدتى ..

ويتردد لحظة ، ثم يقول : «ولى أيضا عم فى موسكو .. سمعت أنه يبذل للناس نصائح أثمن من الدرر واللآلىء ، ولكنه لا يعرف عنى شيئا ، وما من قوة تغرينى بالذهاب إليه !».

مامايف : ولماذا الكبرياء الزائف ؟

جلوموف : كلا يا سيدى .. إنك تسىء فهم الموقف . فما كنت لأتردد فى الركوع عند قدميه ، وتقبيل أطراف ثوبه ، لو أنه كان فقيرا مثلى . ولكن الأمر على النقيض .. فكيف لى أن أقنعه بأنى لا أنشد من ماله شيئا ، ولكنى أطمع فى نصحه وإرشاده .. **أحتاج إلى مواعظه «السماوية» !.. ليته كان فقيرا ، فكنت ألازمه ملازمة الطفل ، غير طامع إلا فى الإنصات إليه ليل نهار !**

ويسأله «مامايف» عن اسم هذا العم ، فيقول : «أعتقد أنه يدعى ماما .. أجل ، مامايف .. نيل فيدروسيتش مامايف» . فيكشف له الرجل عن شخصيته .. ويتظاهر الشاب بالاغتباط ، ويندفع مناديا أمه ، التى تصطنع البكاء تأثرا للمفاجأة ، ثم تقول لابنها : **«لكنه لا يشبه الصورة !»**

مامايف : ماذا تعنين ؟.. أية صورة ؟

مدام جلوموفا : صورة رسمها لك «ايجور خورشايف».. إنه ابن أخيك ، أليس كذلك ؟.. اره الصورة يا ايجور !

ويقدم إليه جلوموف الصورة ، وهو يعتب على أمه ..

مامايف (ينظر إلى الصورة) : ماذا ؟.. فرس البحر ؟ وماذا كتب بأسفلها ؟

جلوموف (ينظر إلى الصورة من فوق كتف عمه) : عمى .. فرس البحر المتكلم !

مامايف (ينفجر ثائرا) : لو أن ذلك الشاب جرؤ على المجىء إلى منزلى مرة أخرى ، للقنته درسا لن ينساه .. إذن ، فهذا هو الاعتراف بالجميل ، بعد كل النصائح والعظات التى ألقيتها عليه .. أواه ، واحسرتاه على الجهد الذى بذلته لهدايته إلى الطريق القويم !.. ولكن ، أشكر الله أن فتح عينى أخيرا !

ولا يلبث العم أن يستعيد هدوءه ، فيدعو جلوموف وأمه إلى زيارته فى منزله . ويظهر جلوموف فى بادئ الأمر تمنعا وإباء ، إلا أنه لا يلبث أن يقتنع . وما أن ينصرف مامايف حتى ينفجر الجميع ضاحكين ، فها هى ذى خطتهم تسير فى طريقها المرسوم ، وقد مهد «جلوموف» لنفسه طريقا للاندماج فى الوسط الأرستقراطى ، بعد أن أزاح غريمه عن طريقه !

* * *

□ **ونتقل** ـ بعد هذا التمهيد ـ إلى المشهد الثانى .. فيرفع الستار عن حفلة راقصة ، فى البيت الريفى لمامايف ، أقامها هذا لتقديم «جلوموف» إلى المجتمع الراقى .. وفى غرفة جانبية ـ بجوار قاعة الرقص ـ نجد أم الشاب فى صحبة «كليوباترا ايفوفنا مامايفا» ـ زوجة العم مامايف ـ ولا حديث لهما سوى إطراء جلوموف ، الذى تعجب «كليوباترا» به ، وبدماثة خلقه ..

مدام جلوموفا : لكم أنت طيبة معنا ، يا عزيزتى كليوباترا .. إن جلوموف يعبدك عبادة !.. إنه مشغوف بشيئين ؛ عقل زوجك الفذ .. وجمالك الصاعق .. إنه يؤمن بأن هذا الجمال جدير بأن يخلد فى لوحات !.. **ترى كيف أشرح لك**

الأمر؟.. إنه شاب صغير السن ، وهو عاطفى بطبيعته .. لقد جافاه النوم منذ وقع بصره عليك !

كليوباترا : أراك تحبينه كثيرا ..

مدام جلوموفا : كيف لا ، وهو ابنى الأوحد؟

كليوباترا : إذن ، فلنغمره معا بحبنا وحناننا !

ويقبل «جلوموف» ، فما أن يرى زوجة عمه ، حتى يتظاهر بالخجل والتراجع ، ولكن هذه تناديه وتشجعه .. وتنسحب الأم ، وفق الخطة المدبرة !

كليوباترا : أشعر أن ثمة ما يشغل بالك .. أرى فى عينيك ـ أحيانا ـ نظرة شاردة .. لماذا لا تبوح لى بسر متاعبك؟

جلوموف : أواه ! لو كان هذا بوسعى .. لو أنك كنت ..؟

كليوباترا : كنت ماذا؟

جلوموف : امرأة فى منتصف العمر .. أو لست على هذا القدر من الجمال !

كليوباترا : أتعنى أننى لو كنت فى منتصف العمر ، لتخلصت من خجلك؟

جلوموف : أجل ، فإن المرأة الشابة الجميلة ، لديها من أسباب المتعة ما يلهيها عن متاعب أقربائها الفقراء . أما المرأة النصف فليس لديها شىء آخر ، وهى تجد فى التجول بين أرجاء (موسكو) ـ مستخدمة نفوذها لصالحهم ـ فرصة لتعريف أصدقائها بمقدار العطف والحنان اللذين يفيض بهما قلبها !

كليوباترا : لو افترضنا أننى امرأة فى منتصف العمر ، فماذا كنت تطلب منى إذ ذاك؟

جلوموف : كنت أطلب منك أن تتوسطى لدى «ايفان جرودولين» كى يعيننى فى إحدى وظائف السلك السياسى . وأنا واثق من أنه سيجن فرحا وغبطة .. فهو غارق فى حبك حتى أذنيه !

كليوباترا : حسنا ، سأتحدث إليه فى الأمر !

جلوموف : أرجو ألا تفعلى . فإنه سيعتبر هذه الخدمة بمثابة رشوة ، ولست أقبل أن أكون مدينا لك . إننى لا أملك ما أكافئك به .

كليوباترا : وكيف تكافئ امرأة .. فى منتصف العمر؟

جلوموف : أوه ، هذا شئ يسير !.. بوسعى أن أمهد لها الطريق للاقاة عشاقها ، وأن أتملق نزواتها ، وأحمل لها كلبها .. ولا أكف عن تقبيل يديها ، والهمس فى أذنها ـ آناء الليل وأطراف النهار ـ بأنها لم تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها يوما واحدا .. ومن يعلم؟.. ربما عشقتها مع مرور الأيام !

كليوباترا : أو ليس بوسعك أن تغرم بامرأة شابة جميلة؟

جلوموف : بالطبع يمكننى ، ولكنى لا أجرؤ ..!

كليوباترا (من خلف مروحتها) : أخيرا ..!

ويقطع عليهما خلوتهما مقدم «جرودولين» ، وهو من أقطاب موسكو ، ويشغل وظيفة هامة فى وزارة الخارجية ، فينسحب جلوموف .. وإذ يشرع الرجل فى مغازلة «كليوباترا» تسأله هذه أن يعين قريبها الشاب فى وظيفة فى السلك السياسى . ويرى «جرودولين» فى طلبها بادرة من التجاوب لعاطفته ، فيوافق فى حماس ، ويعدها بتحقيق رغبتها .

وما أن ينصرف «جرودولين» ، حتى يعود جلوموف إلى الغرفة ، فيجد أسارير «كليوباترا» متهللة .. ولا تكاد تبشره بقرب تحقق أمنيته ، حتى ينحنى على يدها يقبلها .. وتسأله عما إذا كان سعيدا ، فيقول أنه يكاد يطير فرحا !

كليوباترا : لست أصدقك .. أتريد منى أن أقتنع بأنك مجرد إنسان مادى ، لا يطمع من دنياه فى أكثر من وظيفة حقيرة؟

جلوموف (متوسلا) : كليوباترا !

كليوباترا : أتريد منى أن أصدق أن قلبك لا يخفق بأية عاطفة ، وأنك تستغرق فى سبات عميق لا تتخلله أحلام أو رؤى .. وأنك لا تحب أحدا ؟!

جلوموف : كلا .. لم أقل ذلك .

كليوباترا : إذن ، فمن هى التى فازت بحبك ؟

جلوموف : كليوباترا .. أرجوك !.. لست أحتمل ذلك ، فلربما ضعفت وبحت لك بأننى ..

كليوباترا : أريد أن أعرف من هى حبيبتك وسالبة رشدك .

جلوموف : بحق السماء ، ارحمينى .

كليوباترا : أخبرنى .. أهى جديرة بحبك ؟.. أتراها تستجيب لعاطفتك ؟

جلوموف : كلا ، لن أجيب .. اقتلينى بيديك ، ولكن لا تطلبى منى ذلك .

كليوباترا : اهمس لى باسمها ..

جلوموف (يسقط على ركبتيه) : إنها .. **أنت !**

كليوباترا : آه !

جلوموف : لا ريب فى أننى فقدت رشدى .. لم أعد قادرا على التحكم فى عواطفى .. أوه ، يا إلهى . يا لى من تعس بائس .. ماذا قلت ؟.. اغفرى لى .. اغفرى لى !

(يلقى بنفسه عند قدميها ثم يقبل طرف ثوبها)

كليوباترا : لقد غفرت لك يا ايجور ! **(تمرر يديها بين خصلات شعره)**

وإذ ذاك ينهض جلوموف على قدميه ، ويحيطها بذراعيه ، ثم يحتضنها فى قوة ، ولا تلبث شفاهها أن تلتقى فى قبلة حارة عنيفة !

الفصل الثانى

☐ أما ستار المنظر الأول ـ من الفصل الثانى ـ فيرفع عن حجرة الجلوس بمنزل «مدام تورسينا» ، التى تعيش ابنة أخيها الثرية «ماشينكا» فى كنفها .. والسيدة عجوز ، متدينة ، تؤمن بالخرافات والأحلام إلى أبعد حد .. حتى أنها لتعدل عن نزهتها اليومية لأن قطة بيضاء اعترضت طريقها .. ولكن «ماشينكا» تلح فى طلب الخروج ، فتقول العمة : **«أعلم سبب تلهفك على الخروج ، فأنت تبتغين لقاء ايجور خورشايف ، برغم أنه ماجن ، فاسق ، لا يؤمن جانبه . وقد تلقيت اليوم رسالتين أخريين تكشفان عن طبيعته الفاجرة»** !

ولا يلبث أن يحضر مستر «كروتتزكى» ، فتسأله أن يرشدها إلى شاب صالح ، تقى ، يصلح زوجا لابنة أخيها .. ويتذكر الشاب الطيب ، المليح ، الخجول ، الذى التقى به فى منزل «ممايف» ، **فلا يلبث أن يرشح لها «جلوموف»** . ثم يحضر «جرودولين» ، فتسأله نفس السؤال .. ويبادر من فوره إلى ترشيح «جلوموف» ، إرضاءً لكليوباترا الفاتنة !

وترى «مدام تورسينا» فى إجماع رجلين على ترشيح هذا الشاب فألا حسنا ، وشهادة طيبة لجلوموف .

وما أن ينصرف «جرودولين» ، حتى تحضر «مدام مانيفا» ، قارئة الطالع ، فتستقبلها صاحبة الدار فى إجلال .. ولا تلبث الدجالة أن تتظاهر بأنها تغيب عن وعيها ، وأن روحها تحلق لتستكشف الغيب ..

مدام تورسينا : هل ترين شابا ؟

مدام مانيفا : أرى سحابة .. السحابة تتقشع رويدا .. آه ، إن «ايجور» يقف فى وسطها !

ماشينكا (هامسة لعمتها) : ايجور هو الاسم الأول لخورشايف !

مدام تورسينا : صه ! (لمدام مانيفا) ومن يكون ايجور؟

مدام مانيفا : ستعرفانه بمجرد أن ترياه !.. إنه أشقر الشعر .. وهو يقترب الآن من البوابة !.. لقد وصل ! **(يسقط رأسها فوق صدرها)**

وفى تلك اللحظة ، يعلن الخادم مقدم «مامايف» مصطحبا شابا من أقاربه .. وتكاد مدام تورسينا أن تقفز طربا وانبهارا ، حين تعلم أنه شاب أشقر .. حقا إنه أمر يبدو أقرب إلى المعجزات !

وينقلنا المنظر الثانى إلى منزل «جلوموف» ، وأمه خارجة لزيارة مدام تورسينا ، بعد أن وثقت علاقاتها بصديقتين حميمتين لها ـ هما «ماتريوشكا» و «لوبينكا» ـ **وأجزلت لها العطاء لتشهدا بأنهما رأتا الشاب فى أحلامها زوجا لماشينكا !**

ويقبل «كروتتركى» ، ليسأل «جلوموف» عن مقال كان قد عهد به إليه ليصوغه فى أسلوب قوى .. فيشكره الشاب على أنه رشحه للزواج من ربيبة مدام تورسينا ..

كروتتركى : وهل خطبتها رسميا؟ انها بالغة الثراء !

جلوموف : لست أفقه شيئا من أمور المال .. ولكنى أعشق الفتاة لذاتها !

وفى دهاء ماكر ، ينزل الشاب عن أجر المقال ، اكتسابا لود الرجل ، ثم يستبقيه ريثما يستدعى مركبة تقله . **وفى تلك الأثناء ، تتسلل «كليوباترا» إلى الداخل ، فتفاجأ برؤية الرجل على غير توقع** .. غير أنهما يجلسان معا ، ليتجاذبا أطراف الحديث ، ريثما يحضر جلوموف .

كروتتركى : إن قريبك هذا لمن أكثر شباب موسكو أدبا وتواضعا .. إننى أتنبأ له بمستقبل باهر .. لكنك تفرطين فى تدليله وإفساده !

كليوباترا : تدليله وإفساده !؟.. كيف هذا؟

كروتتركي : بتدبيرك هذا الزواج الرائع له .. يا لها من فتاة ساحرة !

كليوباترا : أية فتاة؟.. عمن تتحدث؟.. من تعني؟

كروتتركي : ماشينكا بالطبع ، ابنة أخي صوفيا تورسينا . كأنك لا تعلمين شيئا عن الأمر .. بائنة تبلغ عشرين ألف روبل !

كليوباترا (تنهض واقفة) : أوه ، يا إلهي !.. لا أصدق ذلك .. ليس صحيحا .

كروتتركي : ولكنها الحقيقة .. لم تمض لحظات قليلة منذ أن قال لي : «ليس المال كل شيء يا مستر كروتتركي .. إنني أعشق الفتاة» !

كليوباترا (في أنين) : أواه !.. إنني مريضة . دعني بمفردي .. اخرج **(تصرخ)** دعني ! اذهب !.. اذهب !

ويركض كروتتركي خارج المنزل مفزوعا ، بينما تتهالك كليوباترا في أقرب مقعد . ولا تلبث أن تسترد وعيها فتقول : «لا ريب أن ثمة سوء تفاهم في الأمر .. آه ، لو كان بوسعي أن أتبين الحقيقة !».. ثم تنهض وتجول في أرجاء الغرفة ، باحثة عن خطابات أو أوراق . **وبينما تفتح أحد الأدراج ، يقع بصرها على يوميات جلوموف ، لما أن تشرع في قراءتها ، حتى تسمع وقع خطواته صاعدا الدرج ، فتعيد اليوميات إلى مكانها ، وتمسح عبراتها** . وما أن يلمحها «جلوموف» حتى ينفرج ثغره عن ابتسامة ..

جلوموف : كليوباترا ، يا لها من مفاجأة سعيدة !.. أهذه أنت حقا التي تشرفين مسكني المتواضع؟.. كأنك ربة من ربات الجمال هبطت من السماء !

كليوباترا : حضرت لزيارة أمك . ولكن يبدو أنها ليست موجودة .

جلوموف : إنها قلبي خرجت منذ قليل .. أوه ، دعينا نتجاذب أطراف

الحديث . ما لى أرى على وجهك معالم التعاسة والشقاء؟

كليوباترا (تجلس) : أجل .. والسبب فى ذلك : أحد الرجال .

جلوموف : ومن يكون هذا الشقى ، ذو القلب الأسود؟.. بالتأكيد لست أنا !

كليوباترا : كان بودى أن أتأكد من هذا !

جلوموف : ماذا؟.. أتشكين فى حبى وإخلاصى؟.. أنظرى إلى عينى ! .. إننى أفضل أن أموت على أن أصيبك بسوء ! . لقد كنت ـ قبل أن أراك ـ فتى ساذجا ، خجولا ، تعوزه الثقة فى نفسه .. كنت أعانى وحشة كادت تفقدنى صوابى ، وكانت حاجتى ماسة إلى امرأة تفهمنى ، وأستطيع أن أبثها أحلامى وآمالى .. كنت فقيرا ، تافها ، تنفر النساء منى . فما أن شاهدتك حتى توقف قلبى ـ فى بادئ الأمر ـ عن النبض ، لكنه ما لبث أن راح يخفق فى عنف .. لقد كنت أخشى أن يفرق بيننا جمالك وشبابك وسمو مركزك .. وفى ذلك اليوم الذى فقدت فيه صوابى فصارحتك بغرامى ، رأفت بحالى ولم تطردينى خارجا .. أواه لو تعلمين !

كليوباترا (فجأة) : ومتى يتم الزفاف؟

جلوموف (يباغت ، فينهض واقفا فى ارتباك) : الزفاف؟.. ماذا تعنين؟

كليوباترا : سمعت أنك ستتزوج .

جلوموف (بعد لحظة تردد) : كنت على وشك أن أشرح لك الأمر ، ياكليوباترا .. إن زوجك يريدنى أن أتزوج .. أما أنا ، فالفكرة ـ فى حد ذاتها ـ تثير اشمئزازى !

كليوباترا : لابد أنه مشغوف بك كل الشغف ، حتى أنه يسعى لإسعادك .. على الرغم منك ! .. أخبرنى ، هل تعجبك الفتاة التى وقع اختياره عليها؟

جلوموف : إن نفسى تنفر منها .. بل ، من كل امرأة .. عداك !

كليوباترا : أحقا ؟.. إذن فأنت لا تحبها ؟

جلوموف : لكم تعذبيننى بشكوكك ! .. لست أطيق أن تسيئى بى الظن إلى هذا الحد . ألا تخجلين من نفسك ؟

كليوباترا : بلى ، لقد أسأت الفهم ، فاغفر لى !

جلوموف (بحماس) : يجب أن تعلمى أننى ملك يديك .. فقط أرجو ألا تثيرى الموضوع أمام عمي أو أى إنسان آخر .. دعى الأمر لى !

كليوباترا : بالطبع .. بالطبع !

وإذ ذاك يطرق الباب ، فيطلب جلوموف من كليوباترا أن تختبئ فى غرفة أمه .. وما أن يفتح الباب حتى يجد شابا ـ يدعى «جلوتفين» ـ يقتحم الغرفة وعلى محياه امارات الشراسة ، ويقول انه قد أعد مقالا طويلا ، كشف فيه عن حقيقة «جلوموف» ، وأطماعه وآماله ودسائسه .. لكنه على استعداد لأن يمزقه إذا ما دفع له جلوموف مبلغا من المال .. وإذ يخشى «جلوموف» مغبة الرفض ، يعطيه عشرين روبلا ، ثم يصحبه إلى الخارج .

وتسمع كليوباترا صوت اصطفاق الباب ، فتخرج من مكمنها . وإذ تجد الغرفة خالية ، يعاودها الفضول ، فتبادر إلى إخراج اليوميات ، وتبدأ فى تصفحها .. ولا تلبث أن تقرأ فى إحدى الصفحات : **«إن ماشينكا ساحرة .. وهى خير جزاء لى ، على تجلدى وتحملى مغازلة زوجة عمي العجوز المسكينة كليوباترا ، التى تشبه وجه الحصان !»**

وتثور ثائرة «كليوباترا» ، فتنفجر باكية ، ثم تجفف النقمة دمعها ، فتقرر أن تتقاضى من جلوموف ثمن الإهانة غاليا ، وأن تجعله يزحف عند قدميها طالبا الصفح والمغفرة .. وفيما هى تعاود قراءة ما كتب ، تخطر لها فكرة الانتقام ، فتدس

اليوميات فى حقيبتها ، وتستجمع رباطة جأشها إذ تشعر به قادما .

ويدخل «جلوموف» ثائرا لما لقيه من الشاب الذى كان يهدده . فما أن تسأله كليوباترا عما به ، حتى ينفجر قائلا : «لقد كتب مقالا ينضح بالافتراء والتعريض بى ، وراح يهددنى بإرساله إلى الصحف ، إذا أنا امتنعت عن إمداده بالمال !»

كليوباترا : لست أعلم ماذا أصاب الناس فى هذه الأيام !.. وهل أعطيته نقودا ؟

جلوموف : لقد قنع ـ أخيرا ـ بروبلات قليلة .

كليوباترا : إذن ، فلماذا تقلق ؟

جلوموف : الذى يقلقنى ويكربنى ـ حقيقة ـ هو عدم ثقتك بى .. هل كنت تتصورين ـ حقا ـ أننى أقبل التفريط فيك ، مقابل كل ثروات العالم ؟

كليوباترا : أتعنى هذا حقا ؟

جلوموف : من كل قلبى !

كليوباترا : حسنا ، لقد اقتنعت بأنك نبيل الخصال .. اقترب منى ، ودعنى أقبلك !

ويركع عند قدميها ، فتحيطه بذراعيها ، وتضمه إليها فى قوة ـ كأنها تريد أن تخنقه ـ ثم تقبله فى عنف ، وكأنما كانت تفرض عليه عقابا .. وبعد فترة تفلته من بين ذراعيها . وتتأهب للانصراف :

جلوموف : كليوباترا .. متى أراك ثانية ؟

كليوباترا : سأنتظرك الليلة (تستدير نحو الباب) إلى اللقاء !

وما أن تنصرف حتى يتنهد جلوموف فى ارتياح .. لقد دفع ثمن سكوت «جلوتفين» ، واستطاع «ترويض» كليوباترا إلى حين .. وفجأة يتذكر اليوميات ، فيبحث عنها فى كل مكان ، دون جدوى .. وإذ ذاك يخطر له خاطر رهيب : ماذا

لو كان جلوتفين قد سرقها ؟.. ليته كان السارق ، فإن الأمر لن يكلفه ـ فى هذه الحالة ـ سوى روبلات قليلة . **ولكن ، ماذا لو كانت كليوباترا هى التى ..؟..**

ويهتف فى ذعر : «يا إلهى ! لقد كتبت أنها تشبه وجه الحصان ! !»

الفصل الثالث

☐ ويرفع ستار الفصل الثالث عن «ماشينكا» تجلس إلى «خورشايف» ، فى منزل عمتها مدام تورسينا ، والفتاة تروى له كيف ظهر «جلوموف» فى حياتها ، وكيف تنبأت بمقدمه مدام «مانيفا» العرافة ، التى تؤمن عمتها بأنها قليسة ..

خورشايف (واجما) : الذنب ذنبى ، فأنا لم أتبع الطريق القويم فى حياتى .. وها هو ذا جزاء الشر .. ولم يعد أمامى سوى أن أختفى من حياتك فى هدوء !

ولا يلبث «جلوموف» أن يفد ، فيخف «خورشايف» لاستقباله ، وهو يصطنع الحبور .. ثم يتوافد الناس ، فالليلة حفلة الخطبة ! .. ولا يلبث «جلوموف» أن يستدرج «ماشينكا» إلى الحديقة ، بينما تمضى مدام تورسينا فى التحدث إلى الحاضرين عن وفرة حظها ومبلغ سعادتها .. وإذا بخادم يحمل إليها رسالة تسارع إلى فضها ، فإذا فيها «يوميات» جلوموف ، وبضع أوراق فى شكل صحيفة ..

ويتناول «مامايف» هذه الأوراق ، ثم يهتف : **«ها هوذا مقال بعنوان : كيف تشق طريقك فى الحياة ، تتوسطه صورة كتب تحتها : زوج مثالى ! .. يا إلهى ، إنها صورة جلوموف» !**

وتصيح مدام تورسينا بأن الأمر لا يعدو مؤامرة قذرة ، وترمق «خورشايف» فى اتهام .. بينما تنبههم «كليوباترا» إلى بقية الأوراق ، فيتأملها «مامايف» ، ثم يهتف : **«إنها بخط جلوموف .. دعونى أقرأ بعض فقراتها «مدام مانيفا ٤٥٠ روبلا .. إنها تزاول قراءة الطالع برغم أنها لا تكاد تفيق من الشراب . لقد قضيت ساعات**

طويلة فى محاولة تلقينها كلمات دورها .. لكم أنا مشوق لمعرفة المبلغ الذى سوف تبتزه من مدام تورسينا ، التى أرجح أنها تعانى اختلالا فى قواها العقلية» .

مدام تورسينا (تسقط على المقعد ، وقد كاد يغشى عليها) : أوه ، أوه .. لست أطيق ذلك .. لست أطيق ذلك ! .

كليوباترا : استمر فى القراءة ، فمن الخير أن تعلم مدام تورسينا الحقيقة بأكملها !

مامايف (يستمر فى القراءة) : ٣٠ كوبيكا ، مقابل إرسال ستة خطابات غير موقعة إلى مدام تورسينا !

ماشينكا : إذن ، فهو الذى كتب تلك الخطابات !

مدام تورسينا : عفوك يا حبيبتى . ما كان لى أن أحاول تسيير دفة حياتك . لقد تأكدت الآن من أننى لا أملك القوة ولا العقل اللازمين .. ومن الآن فصاعدا ، بوسعك أن تفعلى ما يحلو لك ، وأن تتزوجى من تشائين .

مامايف (مستأنفا القراءة) : ثلاثة روبلات لخادم مستر مامايف كى يستغل هواية العم العجوز فى تفقد المساكن الخالية ؛ ليستدرجه إلى مسكنى .. أرجو أن يستنزف الكثير من ذلك الخرتيت العجوز ! .. وها هى ذى فقرة عن كروتتزكى .. «أول زيارة لكروتتزكى العظيم .. ولننشد أعذب الأناشيد فى تقريظ ومدح مشروعاته الخطيرة .. أخبرنى أيها العبقرى الخالد : كيف وصلت إلى سن الستين ، ومازلت تحتفظ بعقل طفل فى السادسة ؟!» .

كروتتزكى : اصمت ، هذا تشهير .. أعطنى المظروف ! .. هيا **(يسحب اليوميات من يد مامايف بالقوة)** آه .. أرى بعض الكلمات عن جرودولين ..

مدام تورسينا : أعيدوا هذه المذكرات إلى صاحبها ، ودعوه يغادر هذا المكان فى هدوء ، وبأسرع ما يمكن !

ويدخل جلوموف إذ ذاك قادما من الحديقة ، فما أن يقع بصره عليهم ومذكراته فى أيديهم ، حتى يدرك أن أمره قد انكشف ! .. غير أنه لا يلبث أن يستعيد رباطة جأشه ..

جلوموف : لا تزعجى نفسك يا مدام تورسينا ، فلست راغبا فى إثارة أية ضجة ، ولن أحاول الدفاع عن نفسى .. غير أننى أرغب فى توضيح نقطة قد تغيب عن فطنتكم ، وهى أنك إذا ما طردتمونى من مجتمعكم ، فإنما ترتكبون خطأ جسيما !

كروتتزكى : لسنا فى حاجة إلى أمثالك أيها الشاب . إننا قوم شرفاء ، أمناء !

جلوموف : ومن منكم الذى قرر أننى لست شريفا ؟.. أهو أنت يا مستر كروتتزكى ؟.. ألأننى كنت أقوم ـ بدلا عنك ـ بكتابة مقالاتك ؟.. ولو لم تقع مذكراتى فى يدك ، لظللت إلى الآن تشيد بموهبتى وذكائى وحسن منبتى !

ويتحول الشاب إلى مامايف ، قائلا : «وأنت يا عمى العزيز .. منذ متى قررت أننى لست أهلا لمجتمعكم ؟.. أحينما كنت تلقننى درسا فى تملق مستر كروتتزكى ، أو فى مغازلة زوجتك عسى أن تقنع بعشيق واحد فقط !؟.. لقد كنت تعلم جيدا أن تلعثمى فى الحديث ، وشدة حيائى ، إنما كانا تظاهرا وخداعا .. غير أن هذا كله ما كان ليعنيك فى شىء ، ما دمت تبدو رجلا محنكا ، ذا دراية وحنكة فى أمور الدنيا !»

مامايف : حسنا .. لا ضرورة لإثارة هذه الموضوعات على الملأ .. لا تنس أننا ننتمى إلى عائلة واحدة !

جلوموف (لمدام تورسينا) : أما أنت يا مدام تورسينا ، فأعترف بأننى خدعتك .. غير أننى لا آسف على ذلك .. فأنت فى الواقع تطلبين من الناس أن يخدعوك ، بل إنك تستمتعين بذلك .. لقد وقع اختيارك على زوج لابنة أخيك

ليس لديه من المميزات سوى أن مدام مانيفا ـ قارئة الطالع ـ قد رشحته لديك !

مدام تورسينا : أوه .. لقد أصبح العالم مليئا بالشرور .

جلوموف (لجرودولين) : حسنا .. وماذا عنك يا ايفان؟

جرودولين : ولا كلمة .. إننى أكن لك إعجابا لا مزيد عليه .. هاك يدى ، فأنت لم تتجاوز الحقيقة فى كل كلمة تفوهت بها عنا جميعا .. أو على الأقل عنى أنا بالذات !

جلوموف : وهكذا يتبين لكم ـ سيداتى وسادتى ـ أنكم جميعا فى حاجة إلى ، وأنكم لا تستطيعون الحياة بدون أمثالى !

مامايف : إنك تستغل سعة صدرنا معك يا جلوموف !

جلوموف (فى أدب) : أرجو ألا يسوؤك يا عمى ، إذا قلت لك أنك لست فى غنى عنى ، فإن خدمك أنفسهم لا يطيقون ـ مهما أجزلت لهم العطاء ـ الاستماع إلى خطبك ومواعظك المملة .. بينما كنت أنا أستمع إليها دون مقابل !.. لا داعى للغضب .. لا داع ! (يستدير إلى جرودولين) وأنت أيضا لست فى غنى عنى !

جرودولين : أعترف بذلك .

جلوموف (لكليوباترا) : وأنت أيضا يا زوجة عمى ، لا تستطيعين الاستغناء عنى .

كليوباترا : بوسعى أن أغفر لك كل شئ ، ماعدا إهانة معينة ، يحسن بى أن أنساها .

كروتتزكى : لقد شككت فى أمره من أول مرة وقع بصرى عليه فيها .

مامايف : وأنا أيضا .

جلوموف : بل إنكما لم تشكا فى أمرى لحظة واحدة ، إلى أن قرأتما يومياتى .. لست أعلم كيف أوقعها سوء الطالع بين أيديكم ، غير أن أذكى الناس قاطبة ،

يرتكب ـ أحيانا ـ هفوة تودى به !.. وأود أن تعلموا ـ سيداتى وسادتى ـ أننى لم أنطق بعبارة واحدة صادقة ، سوى ماكنت أخطه فى هذه اليوميات .. **وها قد أفسد سارقها الخطة التى رسمتها ، فأنا الذى يجب أن يثور غضبا واحتجاجا !..** إنكم لستم أهلا لأن تستمتعوا بصحبة إنسان مهذب شرِ يفٍ مثلى ! **(يوليهم ظهره ويخرج من الباب الذى يؤدى إلى الحديقة ، فيسود السكون)** ..

مامايف : حسنا .. ربما لم يكن من الواجب أن ندعه ينصرف هكذا !

كروتتزكى : قد يكون عملنا هذا خطأ جسيما .

كليوباترا : لا أعتقد أنه من الفطنة أن ندعه يذهب ..

ماشينكا : لست أرغب فى الزواج منه الآن ، لكننى لا أعتقد أن من الحكمة أن ندعه يذهب .

مدام تورسينا : لقد بدأت أرى الأمور بنظرة مغايرة !

جرودولين : فلنناده ! **(يجرى إلى الشرفة صائحا : «جلوموف !.. جلوموف !.. عد»..**

مدام تورسينا (لخورشايف) : الحق به قبل أن يصل إلى السور ! **(خورشايف يركض خلفه)** .

كليوباترا (تنضم إلى الاثنين) : جلوموف !.. جلوموف !

الجميع : جلوموف ، عد يا جلوموف ! عد .. عد !

ويسدل الستار

ســــوء تفاهم

| المجهول |

البير كامى

LE MALENTENDU

Par

A. CAMUS

المــؤلف

ولد «البير كامى» فى قرية «ماندوفى» بالجزائر عام ١٩١٣ من أب الزاسى الأصل وأم أسبانية . كان أبوه يعمل فلاحًا فى الحقل ، وكانت أمه خادمة . ومن خلال مخالطة «كامى» للطبقة العاملة الجزائرية تكون تفاعله بالعدالة الاجتماعية واحساسه بالعنف والخطر اللذين تميزت بهما هذه الطبقة الأمية . وقد أثرت المعارك التاريخية التى هزت الحضارة الأوروبية فى عهده على شخصيته وأعماله . وينتمى البير كامى للمدرسة الوجودية التى ضمت سارتر وغيره إلا أنه تميز بكونه أكثر تفاؤلاً من الباقين . تكون تعلقه بالدراما فى كل أشكالها من خلال تعليمه بجامعة الجزائر تحت رعاية الفيلسوف «جان جرنييه» . وقد تسببت اصابته بمرض «السل» فى تحوله إلى الكتابة إلى أن بدأت الحرب العالمية الثانية فى الثلاثينات فعاش كامى بين أنشطته الثلاثة : السياسة ، المسرح والكتابة والتى شكلت خط حياته فيما بعد . بدأ حياته السياسية بالانتماء للحزب الشيوعى ثم أصبح فيما بعد اشتراكيًا متضامنًا مع الجزائريين المسلمين . كما أنه سافر إلى باريس حيث عمل كمصحح فيها إلى عام ١٩٤٠ حين سقطت فرنسا فعاد إلى الجزائر ليعمل مدرسًا فى مدرسة خاصة .

وما لبث أن عاد كامى إلى فرنسا عام ١٩٤٢ حيث لعب دورًا هامًا فى النضال ضد المحتلين الألمان وكتب عدة مقالات سياسية هامة نشرتها الصحف السرية للمقاومة . وفى فرنسا أخرج كامى معظم أعماله الشهيرة مثل «الطاعون» ، «المناضل» ، «رسائل إلى صديق ألمانى» وروايتنا هذه . وختم كامى حياته بـ «السقوط» ثم «الصيف» و «المنفى والمملكة» حتى توفى عام ١٩٦٠ فى حادث سيارة بفرنسا . ومسرحيته «سوء تفاهم» التى أقدمها لك فى الصفحات التالية اقتبست فى السينما المصرية أخيرًا حيث أخرج عنها فيلم «المجهول» تمثيل سناء جميل وعادل أدهم وآخرين .

لابد للجريمة .. من ثمن !

□ للقدر سخريات لا يفوقها شئ في مرارتها .. وله انتقام لا تضارعه في قسوته كل ألوان الانتقام البشرى !.. لقد عاشت «مارتا» ـ بطلة هذه المسرحية ـ تحلم باليوم الذى تستريح فيه من عناء الخدمة في الفندق الريفي المنعزل ، الذى كانت أمها تمتلكه .. عاشت تحلم بالحياة الرغدة ، وبالآمال التي تداعب قلوب العذارى عادة .. وكان مرور الأعوام يزيد من سعارها ولهفتها ، حتى أنها لم تحجم عن ارتكاب الجريمة لتجمع من الأموال ما يكفى لأن تحقق أحلامها . وعندما خيل إليها أن الأماني قد دنت من التحقق صفعها القدر في قسوة عنيفة ، أجاد تصويرها الكاتب الفرنسي «البير كامي» ، في المسرحية التي يقدمها لك «كتابي» فيما يلي :

الفصل الأول

□ ترفع الستار عن البهو الرئيسى في أحد الفنادق الريفية بإقليم (مورافيا) ونرى «الأم» ـ صاحبة الفندق ـ وابنتها «مارتا» ، تتبادلان حديثا يدور حول نزيل يوشك أن يحل ضيفا عليهما ، فهما تتمنيان أن يكون غنيا ، وأن يكون وحيدًا كذلك .. فالنزيل الغنى ، الوحيد ، هو ـ دون غيره ـ الذى يلائم أغراضهما ، ولو ان هذا «النوع» من النزلاء قد ندر هبوطه على فندقهما في الأعوام الأخيرة ، حتى لقد تعسرت أحوالهما ، وضاقت بهما سبل العيش .

وتمضى مارتا في شكاتها ، فتقول لها الأم : «أن مطالب الأغنياء كثيرة» ، فتجيب مارتا : «ولكنهم يدفعون كثيرًا !» .. وبعد فترة صمت ، تستأنفان حديثهما ، فتكون الأم هي القلقة ، المبادرة بالشكوى ، في هذه المرة ، ولكنها لا تلبث أن تحدث ابنتها عن الأمل الوحيد الذى يتراءى لها الآن : «انني أتطلع

فقط إلى الطمأنينة والدعة ، وإلى شيء من الراحة بعد طول العناء .. وثمة ليال يراودني فيها ما يشبه أن يكون أحاسيس دينية ! فى نهاية العمر ، يمكن للمرء أن يترك نفسه على سجيتها ، ولا يستطيع أن يتشدد على الدوام ويقسو ، كما تفعلين يا مارتا .. انك تأخذين الحياة بكثير من الجد ، وهذا شيء لا يناسب سنك ، وإنى لأعرف فتيات ولدن معك فى عام واحد ، ولا يحلمن إلا بالحماقات !»

مارتا : ولكن حماقاتهن لا تقاس بما نرتكب ، كما تعرفين !

ويتقدم الحديث خطوة ، فإذا بسر المرأتين ينكشف ، وإذا نحن أمام قاتلتين عريقتين فى الإجرام ، قد استمدتا قسوة القلب من قسوة الحياة ! .. فكلما حل بفندقهما ضيف وحيد غني ، قدمتا اليه المخدر فى قدح الشاى ، حتى إذا فقد وعيه ، جردتاه من ماله واوراقه ، وحملتاه إلى النهر فغيبتاه فى جوفه ، وسره معه !

ولكن الحديث يكشف لنا ـ كذلك ـ عن موقف كل من المرأتين من هذا الإجرام .. فإن الأم تؤثر أن تكفا عنه ، وهى تعانى من عذاب الضمير أكثر مما تكابد من وطأة الفقر والشيخوخة .. بل أنها ـ إلى جانب ذلك ـ تحس ضعفا إزاء الرجل الذى كان يوشك أن يحل بالفندق ، وتود فى قرارة نفسها لو تتيح له الأقدار ان يفلت من أيديهما ! .. ولكن «مارتا» على النقيض من ذلك .. فهى تصر على قتله ، وتعلق على ذلك ـ وعلى ما ستستولى عليه من ماله ـ سعادتها الوشيكة ! .. ولا تملك الأم إلا أن توافقها ، وهى مغلوبة على أمرها .. وتلاحظ الفتاة أن أمها توافق وهى كارهة .

مارتا : أراك تقولين هذا بطريقة غريبة !

الأم : الحق انى متعبة ، وأود ـ على الأقل ـ أن يكون ذلك هو الرجل الأخير .. فالقتل مزعج إلى حد يثير الفزع ! ورغم انه لا يهمنى أن أموت على ساحل البحر أو فى وسط سهولنا ، فانى أود أن نرحل بعد ذلك معًا !

مارتا : سنرحل ! تمالكى يا أماه ، فلم يبق إلا القليل .. انه سيشرب قدح الشاى ، وينام . ولسوف نحمله ـ وهو لا يزال ينبض بالحياة ـ إلى النهر ! لقد قلت لى يوما أن ضحايانا يعانون أقل مما يعانى غيرهم ، وأن الحياة أكثر قسوة منا ! .. تمالكى نفسك يا أماه ، ولسوف تجدين الراحة التى تبتغين ، كما اننى سأرى فى النهاية ما لم أر من قبل !

ويدخل خادمها الشيخ ، فيأخذ مجلسه وراء المكتب دون ان ينبس بكلمة . وتنهض الأم فتنسحب ناحية الباب وهى تقول لابنتها : «أعدى كل شىء يا مارتا .. اذا كان الأمر يساوى حقا ما نعانى فى سبيله !» .. ولا تلبث الفتاة أن تغادر المكان بدورها .

□ ويفد «جان» ـ النزيل ـ فيخرج الخادم الشيخ ، ولا تلبث أن تقبل «ماريا» زوجة جان .. ويسؤوه مقدمها ، الا أنها تبدى له ما يساورها من قلق .. فهى لا تريد منه أن يبعد عنها ، إذ أنهما كانا ينزلان فى فندق آخر ، ولكن جان رغب فى أن يدعها فى ذلك الفندق ليقضى ليلته فى فندق الأم وابنتها . وتحاول «ماريا» أن تثنى زوجها عن عزمه ، ولكنه كان مسوقا إلى هذا المكان بفكرة معينة تجعله يتشبث بالمبيت فيه !.. وإذ ذاك تسأله : «أهذا هو المكان ؟»

جان : أجل ، إنه هو.. ومن هذا الباب خرجت منذ عشرين عامًا !

ماريا : لا أستطيع أن أصدق أنهما لم تتعرفا عليك بمجرد أن رأتاك ، فالأم خليقة بأن تعرف ولدها .. وهذا أقل ما يمكنها عمله !

جان : اجل ، ولكن عشرين عامًا من الفراق تغير الأشياء قليلا . ولقد طعنت أمى فى السن ، وضعف بصرها ، فلم أكد أعرفها أنا نفسى !.. لقد جئت إلى هنا أحمل معى حظى ، والسعادة .. اذا استطعت أن أحققها !.. فقد أدركت ـ عندما علمت بوفاة أبى ـ ان على مسئوليات نحو الاثنتين !

ماريا : ولماذا لم تعلنها بحضورك ؟
جان : لسوف أستطلع أحوالها عن كثب ، وأرى ما يحقق لها السعادة .. ثم أبحث ـ بعد ذلك ـ عن وسيلة لأعرفها بنفسي .
ولكنها تأبى أن يتركها تبيت وحدها في فندق آخر ، ليقضي هو ليلته في هذا الفندق ، لا لشيء إلا ليستطلع في الخفاء أحوال المرأتين اللتين عرفنا الآن أنهما .. أمه وأخته !
ماريا : قد تكون على صواب ، فأرجو عفوك . ولكنني أسيء الظن بكل شيء منذ حللت بهذا البلد الذي أتلمس فيه ـ دون جدوى ـ طلعة سعيدة ! .. لنرحل يا جان ، فلن نعثر على السعادة ها هنا !
جان : ليست السعادة هي البغية التي جئنا نبحث عنها .. فنحن نحظى بها بالفعل .
ماريا : فلماذا لا نقنع بها ؟
جان : ليست السعادة كل شيء .. وللرجال واجبات يلتزمون بها ، فمن واجبي أن أبحث عن أمي ، وأن أجد موطنا لي . إنما يفتقد المرء سعادته في الغربة أو في غمرة النسيان ، وهو لا يستطيع أن يظل على الدوام غريبا . حقيقة أن الإنسان في حاجة إلى السعادة ، ولكنه في حاجة ايضا إلى ان يجد ما ينتسب إليه !
وأمام اصراره هذا ، لا تملك ماريا إلا أن تتركه وتمضي واجفة ملتاعة ، بينما يبقى جان ، فلا تلبث أن تفد مارتا ، وتسأله في خشونة ان يدلي إليها بالبيانات المألوفة كي تكتبها في سجل الفندق . ويفكر في أن ينتهز الفرصة ليكشف لها عن شخصيته ، ولكنه يجد نفسه حائرا بين رغبتين تتنازعانه : فهو يريد أن يفصح عن الحقيقة ، ولكنه يريد كذلك أن يستخفي إلى حين . وينتهي من حيرته إلى أن يذكر لها اسما مستعارا ، ويتعثر في حديثه الذي يلتوي ويصبح كالألغاز . فإذا

ما سألته مارتا عن المكان الذى سيقصد إليه بعد مبارحته الفندق ، أجاب مراوغا : «لست أعلم .. أن هذا سيتوقف على اعتبارات شتى !»

مارتا : أتريد أن تستقر هنا؟

جان : سوف أقرر الأمر على ضوء الدواعى التى أراها !

مارتا : ألا ينتظرك أحد؟

جان : مبدئيا... لا أحد !

ولكنها حين تطلب منه ما يثبت شخصيته ، يرحب بالفرصة ويقدم إليها جواز سفره ، مؤملا أن تعرف الحقيقة من تلقاء نفسها . ولكنها تترك البطاقة بين يديها ، إذ يشرد ذهنها فتحلم بأشياء أخرى ، ولا تلبث أن ترد البطاقة إليه دون أن تنظر فيها ! ! .. ولعلنا نفهم ـ من تلقاء أنفسنا ـ أن ما ذكره عن عدم وجود من يرقب عودته قد طمأنها إلى أنها وقعت على صيد طيب !

* * *

ويحاول جان أن يستدل منها على نوع الحياة التى تحياها هى وأمها ، ولكنها تصده فى شئ من الخشونة ، فإن حياتهما شئ يخصهما وحدهما دون سواهما .. أما إذا كان يصر على الكلام ، فليتحدث عن نفسه ، بينما تكتفى هى بالإنصات إليه ، فالإنصات هو بعض الواجب الذى تتناول وأمها عنه أجرًا !

☐ وتتدخل الأم ، فيدور بينها وبين جان حديث آخر ، وتتهيأ له الفرص الكثيرة ليكشف عن شخصيته .. ولكنه يتردد مرة أخرى ، فيعمد إلى «الدوران» والالتواء فى الحديث . وهو يذكر فى خلال حديثه : المودة ، والقلب الوفى ، فتصرخ فيه مارتا : «ليس للقلب من عمل هنا ! !» ، ولكنه يفلح فى إثارة أشجان الأم !

جان : انك تلوحين مدركة للأمور .. أتقيمين فى هذا الفندق منذ أمد بعيد؟

الأم : منذ أعوام وأعوام كثيرة ، حتى اننى لا أذكر كيف كانت بداية إقامتى .. بل أننى نسيت ماكنت عليه إذ ذاك !.. ان هذه الفتاة ابنتى ، وقد لازمتنى طوال ذلك العهد ، فلهذا أعرفها .. ولعلها بغير ذلك كانت تصبح هى الأخرى نسيا منسيا بالنسبة لى !

جان : أجل ، انى أدرك هذا . ولكن .. لو أن لك ولدا اعارك ساعده ، فما أراك كنت تنسينه؟

الأم : ولدا !.. أواه ، إننى أمرأة طاعنة فى السن ، والعجائز لا يعرفن حتى كيف يحببن أولادهن !.. لقد وهن القلب يا سيدى !

ويثير حديث الأم ثائرة مارتا من جديد ، فتقف بينهما وتقطع حديثهما ، ثم تسلم جان مفتاح غرفته ، وتخرج .. واذ ذاك تهم الأم بالنهوض ، فيهب الشاب لمعاونتها ، ولكنها تقول له : «خل عنك يا ولدى ، فلست عاجزة . انظر إلى هاتين اليدين .. انهما لا تزالان قويتين ، وتستطيعان ان تقبضا على ساقى رجل !»

ولا يجد جان ما يدعوه إلى البقاء ، فيتجه إلى غرفته . وتحدث الأم نفسها ، وهى تتأمل يديها : «انها لفكرة غريبة ، أن أحدثه عن يدى .. ولو أنه نظر إليهما فلعله كان يدرك ما رفض أن يفهمه من حديث مارتا !.. **ولكن ، لماذا يبدو جنوح هذا الرجل إلى الموت شديدًا ، ورغبتى فى معاودة القتل ضئيلة؟**.. لكم أود أن يرحل ، فأستطيع أن ارقد فى هذه الليلة أيضًا ، وأستغرق فى النوم ، أننى طاعنة فى السن ، ولست أقوى على أن أطبق يدى على رسغيه ، وأشعر بإهتزازات جسده على طول الطريق المؤدية إلى النهر ، وأبذل ذلك الجهد الأخير حين القيه فى الماء ، ثم أعود مرتخية الذراعين ، مبهورة الأنفاس ، مشلولة لا أقوى على نفض العرق الذى تفصد من جسدى .. لا بأس !.. ان الضحية فى ابانها»

وتدخل مارتا ثائرة ، فتطلب إلى أمها أن تبادر إلى العمل ولا تجعل لمشاعرها سلطانا عليها . فتجيبها الأم : «أرجو أن تكون هذه آخر مرة نضطر فيها إلى أن نتجرد من مشاعرنا .. ولكنك تقولين لى هذا لكى تبددى ما يعاودنى من إحساس ضئيل بالأمانة !»

مارتا : أن ما تسمينه احساسًا بالأمانة ليس إلا رغبة فى النوم !

الأم : الحق معك . ولكن ، لماذا ترسل إلينا المصادفة ضحية قليلة الجاذبية مثل هذا الرجل؟

مارتا : انه كثير الشرود ، وهو طيب إلى حد كبير ، ولكن .. **ماذا يصير إليه العالم لو أن المحكوم عليهم اشاعوا فى جلاديهم أحاسيس العطف والرحمة ؟!**

الأم : ولكننى اليوم متعبة ، وانت ثائرة ، فلماذا تتشبث بالعناد ونطرح كل اعتبار ، فى سبيل شىء من المال ؟

مارتا : كلا ، ليس من أجل المال ما نفعل ، ولكن من أجل نسيان هذا البلد ، ومن أجل بيت على شاطىء البحر .. ولئن كنت أنت قد سئمت حياتك هذه ، فإننى مضناة حتى الموت ، من هذا الأفق المغلق ! .. إنك ، فى هذه السن المتقدمة ، لا تريدين إلا أن تغلقى عينيك ، وتنسى .. **أما أنا ، التى تستشعر فى القلب قليلا من رغبات أعوام عمرها العشرين ، فأريد أن أحقق هذه الرغبات ، ولو تحتم على أن أوغل فى الحياة التى نريد أن نهجرها !**

الأم : ان من العسير أحيانا فهم امرأة عجوز ! ولكنى أريد أن أقول لك : ليس هذا المساء ! .. لنترك له هذه الليلة ، فقد تكون نجاتنا على يديه !

مارتا : اذن ، أقسم لك بأن نجاتنا فى متناول أيدينا بالفعل ، وليس علينا إلا أن نخرج من هذا التردد .. فليكن ذلك الليلة ، وإلا فلن يكون مطلقا !

الفصل الثانى

□ فإذا كان الفصل الثانى ، انتقلنا إلى غرفة جان ، والمساء فى أوله .. والرجل يحدث نفسه : وإن ماريا محقة ، فما أثقل هذه الساعة !.. ترى ماذا تفعل هى الآن ، وفيم تفكر ؟.. لقد كانت ليالينا ـ هناك ـ تفيض بالسعادة . أما هنا فالأمر على النقيض . ولكننى لا ارى ما يدعو إلى هذا القلق . انما يجب أن يعرف المرء ما يريد .. وفى هذه الغرفة سيعالج الموقف ، وتسوى الأمور ! »

وتدخل مارتا متعللة بتغيير المنشفة والماء ، فيدور بينهما حديث يتراوح بين الجفاف والرقة ، ويحدثها عن البلد الذى جاء منه .. فهو بلد جميل ، على شاطىء البحر ، نهاره شمس مشرقة ، وليله أعياد رائعة !

وكأنه كان بهذا الحديث يعجل بمصيره ، إذ انه أذكى فى مارتا شوقها إلى تحقيق أملها .. لقد كانت تتوق إلى مبارحة الفندق ، وقضاء ما بقى من عمرها فى بلد كهذا الذى يصفه جان !

مارتا : لطالما حلمت بتلك البقاع . وكثيرًا ما أذكر فى مثل ربيعنا هذا الكئيب ، ما هنالك من بحر وأزهار (**فى صوت أصم ، مجرد من العاطفة**) وهذا الذى أتخيله يجعلنى عمياء عن كل ما حولى !

جان : انى أقدر هذا . والحق أن الربيع ـ هناك ـ يغمرك ، والأزهار التى تغطى الأسوار البيضاء تحيط بك من كل جانب . ولو أنك تنزهت ساعة بين الروابى الدائرة حول بلدى ، لعبقت اردانك بأريج ورودها الصفراء !

مارتا : ما أبدع ذلك !.. أما ما ندعوه ربيعا هنا ، فلا يعدو وردة وبرعمتين ، تتفتح فى حديقة الدير ، وهذا يكفى لفتنة الرجال فى بلدى !.. إن روحهم شبيهة بتلك الوردة الضنينة ، وإن لفحة قوية واحدة لخليقة بأن تيبسهم .. فلهم الربيع الذى يستحقون !

جان : ألاحظ أنك تخاطبينني ـ للمرة الأولى ـ بلهجة إنسانية !

مارتا : ان الشيء الوحيد الذى عندى هو الرغبة ... وفى سبيل الحصول على مشتهاى ، أرانى خليقه بأن أحطم كل شيء فى طريق !

وتخرج مارتا .. وإذ ذاك يمضى جان إلى الفراش فيجلس فوقه ، ثم يعود إلى حديثه مع نفسه : «ان هذه الفتاة تحرضنى على أن أغادر المكان ، وأن ألحق بماريا .. لكم أكون سعيداً إذ ذاك !.. أنها حماقة لعمرى ، فماذا ترانى أصنع هنا ؟.. ولكن ، لا .. فها هنا أمى وأختى ، ولقد أغفلت أمرهما طويلا !»

وتعود أخته ، فتقدم إليه الشاى ـ على الرغم من أنه لم يطلبه ـ وتخرج . ولا يكاد يفرغ فى جوفه محتويات القدح ، حتى يقرع الباب بشدة ، وتدخل الأم لكى تحاول أن تمنعه من إحتساء القدح ، ولكنها حين تراه قد شربه ، تدرك ان لا جدوى من محاولة إنقاذه !.. ويتبادلان حديثا قصيرا يعلنها فى خلاله بأنه سيغادر المكان لفوره ، بعد أن يعطيها أجرة المبيت . وتخرج الأم ، فيعود إلى حديثه مع نفسه ، وقد بلغ من الإعياء مبلغه بتأثير المخدر : «سأعود غدا بصحبة ماريا وسأقول : «هذا أنا !» ، ولن يعوقنى شيء عن جعلهما سعيدتين .. لقد كانت ماريا على حق .. أواه ! لست أحب هذا المساء الذى يبدو كل شيء فيه بعيدا بهذا الشكل . نعم .. أم... لا ؟!» . ثم يغرق فى النوم !

* * *

□ ويقبل الليل ، وتدخل المرأتان ومعهما ضوء ، يبدو تحته جسد النائم . وتحاول الأم ـ للمرة الأخيرة ـ ان تثنى إبنتها عن اقتراف الجريمة ، ولكن هذه تزداد اصرارا ، وتنتزع حافظة جان من جيبه ، فتحصى ما بها من نقود . بينما تسألها الأم

أن تجلس قليلا ، فتهتف مارتا : «هنا ، بالقرب منه؟»

الأم : أجل ، ولم لا ؟.. انه يوشك أن يمضى فى رقدة تنقله إلى عالم بعيد .. أنه لن يستيقظ وشيكا ، فيسألنا عما نفعل . أما عن بقية الدنيا ، أنها ستتوقف على باب هذه الغرفة المغلقة . فهو ، ونحن ، نستطيع أن ننعم فى سلام بهذه اللحظة وتلك السكينة (**تجلس**) أحرى بك أن تجلسى ، فإن لدينا من الوقت ما يكفى . انظرى إليه !.. إنه الآن فى اللحظة التى يبدو فيها كل شىء ـ حتى مصيره ـ غريباً عنه ، وحيث تقبع مقدرات حياته فى ايد غير مكترثة .. **الا فلتبق يداى هاتان ، كما هما ، متراخيتين على فخذى حتى يطلع الفجر ، فيبعث من جديد ، دون أن يعرف شيئاً مما حدث !.. بل لترحفا نحوه ، ولتصنعا حول رسغيه حلقات قاسية وتجرانه إلى مصيره ، فيدخل ـ إلى الأبد ـ فى عالم خال من الذكريات !..** إنه الآن متخفف من أثقال حياته . أنه لم يعد يعرف ما يصحب تقرير الأمر من شجن ، ولا توتر الأعصاب ، ولا المضى فى عمل حتى النهاية ، ولا الذهول أو الوهن ! لم يعد يحمل صليب هذه الحياة الداخلية التى تقضى على راحة النفس ، وأعتقد أن هذه هى السعادة !

مارتا : ليس لدينا من الوقت ما يكفى للتساؤل عن السعادة !

الأم : اكنت تعلمين برغبته فى الرحيل هذا المساء؟ !

مارتا : لا ، لم أكن أعلم . ولو أننى علمت لما بدل هذا من خطتى شيئاً !.. إنه هو الذى شجعنى على ان أقرر مصرعه . فلقد ترددت مثلك فى النهاية ، ولكنه حدثنى عن بلاد .. اتوق إليها ، وعرف كيف يمس مشاعرى ، فزودنى بسلاح ضده .

الأم (**وهى تتقدم نحو السرير**) : هيا ، يا مارتا .. لكم يبدو لى أن ذلك الفجر لن يصل ابدا !

الفصل الثالث

□ **وترتفع** ستار الفصل الثالث والأخير ، فنرى الخادم الشيخ يكنس المكان ، ويرتب الأشياء .. ونرى الأم ، ومارتا خلف المكتب ، تطرح شعرها إلى الوراء ، وتمنى نفسها بتحقيق الآمال !

مارتا : هأنتذى ترين أن الفجر قد جاء ، وأننا قد أوفينا على نهاية ذلك الليل !

الأم : أجل ! وفى غد سأشعر بأن إنتهاءنا من ذلك العمل شيء طيب حقا . أما الآن ، فلست أحس ألا بحاجتى إلى النوم وبجفاف قلبى .. لقد كان الليل قاسيًا !

مارتا : ولكن هذا الصباح هو أول صباح أحياه منذ سنوات !. لكأننى أسمع البحر سلفا ، وان فى نفسى لحبورا يدفعنى إلى الصياح .. ألا دعينى أهنأ بسعادتى خلية البال ، فلقد عدت الشابة التى كنتها !.. ان جسدى يستعيد دفئه ، وإنى لأشعر برغبة فى الانطلاق .. ألا خبرينى ، يأماه : أترينني لا أزال جميلة؟

وبعد قليل تخرج الأم ، ويعثر الخادم على جواز سفر الإبن ، فيفتحه ويتفحصه ، ثم يقدمه مفتوحا إلى مارتا التى ترفض أن تأخذه ، ولكن يد الخادم تظل ممدودة به حتى تأخذه ، فيتركها وحدها ويخرج .. وتقرأ مارتا جواز السفر فتجمد فى مكانها دون أن يبدو عليها أثر لأى انفعال ، ثم تنادى أمها وتعطيها إياه ، فتقرأه الأم بدورها ، وتتسمر عيناها على الكلمات فى صمت رهيب !.. ولا تلبث أن تقرر أمرا ، ويدور بينها وبين ابنتها هذا الحوار الأليم :

الأم : ويحى ، لقد كنت أعرف أن الدائرة ستدور هكذا يوما !

مارتا : أماه !

الأم : دعيني يا مارتا ! لقد عشت ما يكفي .. عشت كثيرًا . اكثر من ولدى ، وليس هذا فى نظام الطبيعة ! .. الآن أستطيع أن أنضم إليه فى أعماق ذلك النهر ، حيث تغطى الأعشاب وجهه !

مارتا : أماه !.. لن تتركيني وحيدة ؟!

الأم : ان قلبي الهرم الذى كان يعتقد أنه بمنجاة من كل شيء ، يعود اليوم فيستشعر الألم . وعندما تعجز أم عن أن تتعرف على ولدها ، فإن دورها على الأرض يكون قد إنتهى !

مارتا : كلا .. انه لم ينته بعد ، طالما كانت سعادة إبنتها توشك أن تتحقق !

الأم : ان فى العالم قوى لا تقبل الإنكار . وان لنا يقيننا على هذه الأرض .. وحب الوالدة لولدها هو الآن يقيني ! كيف أستطيع الآن أن أتحول عن حب ولدى ؟

مارتا : يا له من حب جميل نسيته عشرين عاما !

الأم : أجل ، حب جميل ظل حيا خلال عشرين عاما من الصمت .. حسبي هذا الحب الجميل ، ما دمت لا أستطيع أن أحيا خارجه !

مارتا : لا يمكن أن تقولى ذلك دون أن يكون بنفسك ظل من ثورة . ودون أن تفكرى فى إبنتك !

الأم : بل أنه ممكن ، وان يكن قاسيا عليك .. لست أفكر فى شيء أو أثور على شيء ، وأحسب أن هذا هو العقاب !

مارتا : ما اعتدت ان تقولى هذا من قبل .. بل انك ـ فى خلال تلك الأعوام كلها ـ كنت تقفين بالقرب مني ، وتقبضين بيد ثابتة على سيقان اولئك الذين كتب عليهم الموت ! لم تكونى تفكرين اذ ذاك فى الحرية وفى الجحيم .. وما رأيت مرة أن الحياة حرام عليك !

الأم : كان الحزن خليقا بتغيير هذا كله . وماذا يعنى الحزن لمجرمة؟.. هأنتذى ترين أنه ليس حزنا حقيقيًا تعانيه أم .. فما ندت عنى صرخة .. ما هو إلا معاناة لآلام مولد الحب من جديد ، وإنها لتفوق احتمالى !

مارتا : لا تنسى أننى أنا الباقية على قيد الحياة ، وانه هو قد رحل ، وأنك وجدتنى بجوارك عمرًا بأسره .. أما هو فقد التى بك فى زاوية النسيان ، فلابد لذلك من ثمن .. لقد منحته الحياة كل ما تستطيع أن تمنحه إنسانا . فلقد غادر هذا البلد ، وعرف البحر وعاشر قوما احرارا .. أما أنا فقد بقيت هنا .. نشأت صغيرة كئيبة ملولا ، وكبرت فى جلمود هذه الأراضى .. ما من أحد لثم فى ، وحتى أنت لم ترى جسدى بغير ثياب !.. ان ما حدث له ليس بضرر مهول ، اذ لم يبق فى الدنيا شيء لم يعرفه . أفينبغى أن يسلبنى حب أمى كذلك ، وأن يقتادك إلى غير نهاية ، فى صقيع نهره؟

ولكن الأم لا تنثنى عما اعتزمت ، فتخرج ساعية إلى حيث تلقى مصيرها بجوار إبنها ، فى جوف النهر !.. وحينئذ يجن جنون الإبنة ، وتنفجر فى صياح وحشى ، فتصب جام سخطها وحقدها على أمها وأخيها ، وتذكر الأحلام المنهارة ، والبحر الذى عشقته وتمنت أن تعيش على شطآنه ، حيث الشمس والهواء الطلق والحرية . وتتمثل لها وحدتها الرهيبة ، فتقرر أن تقتل نفسها هى الأخرى !

* * *

☐ **ويطرق** الباب ، وتدخل ماريا سائلة عن زوجها ، فتخبرها مارتا بأنه .. قد مات !

وتذهل ماريا ، ولا تصدق ما تسمع ، ولكنها تطلب أن ترى زوجها ،

ولو ميتا ؟:. فتقول مارتا أن ذلك مستحيل لأنه الآن فى أعماق النهر حيث ألقته هى وأمها ، بعد أن خدرتاه !

ماريا : إننى اسمع من الكلمات مالم يتردد قط على هذه الأرض ! وبينما توقف كلماتك مجرى الحياة فى عروقى ، أعتقد أننى إنما اسمعك تتحدثين عن كائن آخر غير هذا الذى شاركنى ليالى ، وعن تاريخ بعيد لم يكن لقلبى نصيب فيه:. ولكن لماذا ، لماذا فعلتما ذلك ؟

مارتا : باسم من تسألينني ؟

ماريا (صارخة) : باسم حبى !

مارتا : ماذا تعنى هذه الكلمة ؟

ماريا : تعنى ما يمزقنى الآن ، وينهشنى !.. تعنى ذلك الجنون الذى يهيىء يدى للقتل !.. تعنى مسرتى الماضية ، وهذا الألم الجديد الذى تجلبينه إلى. ولتعلمى ، أيتها المخبولة ، انه لولا ذلك الشك العنيد فى قلبى ، لعرفت ما تعنى هذه الكلمة ، حالما تشعرين بوجهك يتمزق تحت اظافرى !:. هاتى أوضحى ما أريد أن أعرف جليته ، قبل أن تخوننى شجاعتى !

وعلى هذا النحو يمضى الحديث بين الزوجة الملتاعة التى فقدت زوجها ، ووجدت نفسها ـ على حين فجأة ـ وسط أحداث لا تصدق ، وبين الأخت أو الابنة التى تبلد إحساسها ذلك التبلد الذى ينشأ عن الشقاء العنيف ، والذى تتذرع به الناس كنوع من الإحتجاج والتحدى . وتعلن مارتا أنها ستشنق نفسها بعد قليل وتدعو ماريا إلى أن تحذو حذوها لتنضم إلى زوجها فى العالم الآخر !

مارتا : ماذا يجدى الحرص الشديد على الوجود ، ورجفة الأرواح هذه ؟:. وفيم اللهفة على مواجهة البحر ، أو على الحب ؟.. أن زوجك يعرف الآن الجواب ، ولسوف تعرفينه أنت الأخرى.. وداعا يا أختاه !

وتخرج مارتا ، فتهتف ماريا صارخة ضارعة : «أواه ! ياربى !..لا أستطيع أن أعيش فى هذه الصحراء. إننى أوجه إليك قولى:. اليك أوبتى فكن شفوقا على ، والتفت نحوى !:. اسمعنى يا مولاى ، اعطنى يدك !.. ألا كن شفوقا على اولئك الذين يتحابون ، وأولئك الذين يكابدون الانفصال !»

ويفتح الباب ، ويظهر الخادم الشيخ ، وهو يظن أنها تدعوه . وحين تطلب إليه العون ، يجيبها بالكلمة الوحيدة التى يلفظها ـ وكأنها حكم القدر : «كلا» !

وتسدل الستار

* * *

موت قومسيونجى

أرثـــر ميللر

DEATH OF A SALESMAN

By

A. MILLER

المسرحية .. ومؤلفها

من المفارقات الغريبة أن اسم الكاتب الأمريكي «آرثر ميللر» لم يلمع بالقدر الذى يستحقه إلا بعد زواجه من الممثلة الجميلة «مارلين مونرو» ، حتى لقد وصلت شهرته إلى رجل الشارع الذى لا يحفل كثيرا بالأدب .

ولكن آرثر ميللر لم يكن نكرة قبل هذا الزواج ، بل كان علما من أعلام الأدب الأمريكي المعاصر ، وكان مكانه فى المقدمة بين كتاب المسرح . وأهم عمل من أعماله هو هذه المأساة «موت قومسيونجى» التى ظهرت سنة ١٩٤٩ ، ونالت جائزة (بوليتزر) المشهورة فى أمريكا وجائزة حلقة النقاد ، وأخذت مكانها فى المسرح العالمى ، حتى التفتت إليها السينما فأخرجها «ستانلى كرامر» للشاشة البيضاء .

وأهمية هذه المأساة فى أنها صورة من صور عصرنا : صورة قاسية بشعة لما انتهى إليه الإنسان فى هذه الحضارة الصناعية التجارية التى تطحن الإنسانية طحنا ، وهى صورة أمينة لأنها تصور الضعف الفردى وسط مجتمع فيه من وحوش الغاب شىء كثير. وبطل هذه المأساة ليس أميرا ، ولا ملكا ، ولا عبقريا ، ولكنه واحد من بسطاء الناس ، يعيش فى دنياه البسيطة ، ويزاول عمله البسيط ، ويحلم أحلامه البسيطة ، ولكن الحياة لا ترحمه لأنه لا مكان فيها للبسطاء . هذا هو «وليم لومان» القومسيونجى الذى أفنى عمره ـ أفنى خمسا وثلاثين سنة بالضبط ـ فى خدمة شركة من الشركات يعيش على ما يتقاضاه من مرتب صغير وعمولة صغيرة عن كل سلعة يبيعها .

خمسا وثلاثين سنة قضاها «ويلى لومان» يسوق سيارته «الشفروليه» ثم سيارته «الستوديبيكر» آلاف الأميال كل أسبوع ، مسافرا بحقيبتيه المليئتين بالعينات ، من نيويورك حيث يقيم مع أسرته ـ زوجته «ليندا» ، وولده الأصغر «هارولد» ، أو

هابى كما يسمونه ـ إلى (بوسطون) فى الشمال وإلى (نيوهامبشير) و (مين) . والآن وقد أرهقه العمل ، وبلغ سن الشيخوخة وتجاوز الستين ، فلم يعد قادرا على سحر الزبائن ـ كما كان يفعل فى شبابه ـ يجيئه من مدير الشركة خطاب يقول أن الشركة لن تدفع له مرتبا شهريا ، وأنه لن يحصل منها إلا على العمولة عما يبيع من بضاعتها !

ولكن شيخوخة «ويلى لومان» لم يحطمها هذا الخطاب وحده ، وإنما حطمتها أيضا كل أحلامه الضائعة ، وأخص هذه الأحلام حلمه الكبير ، أكبر حلم فى حياته ، وهو ولده الأكبر «بيف» ، الذى كان يرجو له النجاح فى الحياة فلم يخرج منه إلا شاب «هايف» ، «هلفوت» ، بلغ الخامسة والثلاثين من عمره يتقلب من عمل إلى آخر دون أن يستقر فى الحياة على شىء ، بعد أن كان بيف زينة الفتيان أيام الدراسة الثانوية ، وأبرعهم فى كرة القدم ، وكان كل الناس يشيرون إليه بالبنان حتى أنه فى سنة البكالوريا تلقى جملة عروض بمنح دراسية من جامعات مختلفة ، واختار منها جامعة (فرجينيا) ... ولكن بيف رسب فى البكالوريا . وكان من الممكن أن ينهض من عثرته لولا أن حادثا مؤسفا حدث له فغير مجرى حياته كلها !

ـ ١ ـ

نحن الآن فى بيت «ويلى لومان» بضاحية (بروكلين) فى نيويورك . وهو بيت صغير تحيط به تلك العمارات الشاهقة البشعة من كل مكان ، بناه ويلى لومان بالتقسيط منذ ثلاثين سنة ، ولم يبق من ثمنه إلا القسط الأخير . وحين بناه ويلى لومان لم تكن العمارات الشاهقة قد أحاطت به بعد ، ولكم كان يحلم بأن تكون له حديقة كبيرة حول المنزل يزرع فيها الخضر ، ولكن العمارات العالية من حوله لم تترك له إلا فناء خلفيا مساحته ثلاثة أمتار فى ثلاثة أمتار !

وفى فراشها تجلس زوجته «ليندا» ، وهى امرأة فى سن الثالثة والخمسين من عمرها ، شاب شعرها ، وقد أيقظتها حركة سمعتها ، وتعلم أن زوجها عاد من رحلته ، فتلبس «الروب» منادية : «أهذا أنت يا ويلى؟» ، فيجيبها «لومان» بالإيجاب .

ولا يلبث ويلى لومان أن يدخل ويخلع جاكتته وكرافتته ، فتساعده «ليندا» على ذلك بصورة آلية ، وهى تنظر إليه نظرة فيها استفهام كثير وقلق كثير ، فهو قد عاد من طوافه قبل الأوان !.. وتسأله ليندا إن كان قد حدث شيء أو كانت سيارته قد انكسرت ، فيجيبها فى غلظة أنه لم يحدث شيء البتة . كل ما حدث أنه عجز عن المضى فى سواقة سيارته إلى آخر الطريق فعاد أدراجه .

وبعد أن يهدأ ويلى لومان يروى لزوجته كيف أن زمام السيارة كان يفلت من يده حين بلغ ضاحية (يونكرز) ، فكان يجنح بالسيارة كثيرا إلى اليمين وهو يسوق بسرعة ستين ميلا دون وعى منه ، ومرت عليه خمس دقائق شرد فيها ذهنه تماما فليس يذكر منها لحظة واحدة . ولولا لطف الله لكان جنوحه إلى اليسار ولاصطدم بالسيارات الأخرى . إنه يعلم أن نظره سليم ، ولكنه فى الأيام الأخيرة لم يعد له سلطان على أفكاره ، ومع ذلك فلا بد من سفره كل أسبوع إلى ولاية (نيوانجلند) لتصريف بضاعة الشركة .

وتنصحه ليندا ، وهى تساعده على خلع حذائه ، أن يطلب إلى مستر «هوارد» مدير الشركة أن يسمح له بالعمل فى نيويورك ، ولكن ويلى لومان يتحسر على أيام المدير السابق «مستر فاجنر» ـ والد هوارد ـ لأنه كان رجلا شهما يفهم متاعب مرؤوسيه ويساعدهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وكان يختصه هو بالذات بكل عطف ، فهو الذى فتح أسواق الشمال للشركة بكده المتواصل . وتلح عليه ليندا فى ذلك ، فيتشجع ويلى لومان ويعدها بشرح حالته لهوارد ، لعله يعفيه من هذه

الرحلات المضنية ويعينه فى وظيفة فى مركز الشركة بنيويورك .

ويتجادل ويلى لومان وليندا فى أمر ولدهما الأكبر «بيف» الذى عاد إليهما أخيرا .. فقد تشاجر لومان وبيف قبل سفر لومان ، وكان سبب الشجار أنه سأل ابنه ان كان يكسب رزقه . إنه محتار فى أمر «بيف» ، الذى ترك البيت منذ أكثر من عشر سنوات .. وهو لا يكسب الآن إلا خمسة وثلاثين دولارًا أسبوعيًا ، وينتقل من عمل إلى عمل ومن ولاية إلى ولاية دون أن يستقر على شيء . إن من كان فى سنه وجب أن يكون ربا لأسرته . ولكن عيب بيف أنه رجل كسول «هايف» لا يحب العمل ، وإلا لشق طريقه فى الحياة . وهذا آخر عمل كان به : عامل زراعى فى (تكساس) ، وهو قد تركه !

وتدافع ليندا عن ولدها بيف قائلة أنه ليس كسولا ، وإنما هو يبحث عن موهبته الحقيقية . فيوافقها ويلى لومان على ذلك وهو يعجب كيف يضيع شاب مثله ذكى ، قادر ، جذاب الشخصية ، وصبور على العمل ، فى أمريكا بلد الفرص والآفاق الواسعة !.. كلا . إن بيف ليس «هلفوتا» ولا كسولا فهذه آخر صفاته . إنه يذكر كيف كان «بيف» فى المدرسة الثانوية فخر لاعبى الكرة وموضع إعجاب الجميع . إنه يعرف أن المخترع «اديسون» و «جودريتش» صاحب إطارات جودريتش وغيرهما لم تتفتح مواهبهم إلا فى سن متأخرة . وهو يراهن أن ولده بيف سينجح آخر الأمر .. ويتوه لومان فى الذكريات .

ـ ٢ ـ

ويستيقظ الابنان «بيف» و «هابى» على صوت أبيهما . ويبدى «هابى» انزعاجه على ما آلت إليه حال أبيه ، فهو كلما خرج بسيارته ـ فى الأيام الأخيرة ـ يرتكب مخالفات المرور ، فهو يقف عند النور الأخضر وينطلق عند النور الأحمر ، وهو قد

كثرت حوادثه . ويرجو هابى أخاه الأكبر بيف أن يصفو لأبيه ، وأن ينسى ما كان بينهما من شجار حاد فى الصباح قبل خروجه إلى العمل . إن شيئا ما يعترى أباهما ، فهو يحدث نفسه ، وهو كثير الذهول . بل هو كلما كلم نفسه بدا وكأنه يكلم بيف بكلام غير مفهوم . فلاشك أن قلقه على مستقبل بيف وراء هذه الأزمة التى يمر بها .

ويجيب «بيف» فى غموض أنه ليس وحده المسئول عن انقباض أبيه ، فهو يعلم أن فى عقل أبيه شيئا آخر يجثم على صدره ، ويملؤه بهذه الخواطر السوداء ، . أما هو فلا يعرف لنفسه هدفا فى الحياة . إنه جرب العمل فى المدن فضاق به وطلب الخلاء ، وجرب العمل فى الحقول فضاق به وطلب المدن ، إنه اشتغل كاتب شحن وقومسيونجيا وتاجرا وراعى خيل ، وكان فى كل مرة يحن إلى ما ليس له . إنه أضاع حياته . وهو ليس بشاعر ـ كما يقول أخوه هابى ـ بل رجل مبلبل ! ولعل الزواج يعلمه الاستقرار ، فيصبح مثل هابى سعيدا ناجحا .

ولكن هابى يقول أنه أبعد ما يكون عن السعادة . إنه حقا مستقر لا بأس بدخله ، يقيم بالقرب من والديه ويملك سيارة . ولكن أى أمل له فى الحياة ؟ إنه مساعد مدير قسم البضائع ، ولم يبق له إلا أن ينتظر موت المدير ليرقى إلى وظيفته ! وهبه أصبح مدير قسم البضائع ، فماذا بعد ذلك ؟ إن عنده كل ما يريده : شقته وسيارته وعدد لا يحصى من البنات . ومع ذلك فهو يحس بالوحدة القاتلة . إن موظفى المحل يفسحون الطريق للمدير حين يمر ، وهو لا يفضله فى شيء . والسبب بسيط : إنه قوى بماله ، وآل لومان لا يعرفون كيف يجمعون المال ! إنه يحلم ـ مثل بيف ـ أن يكون له فى يوم من الأيام مزرعة . نعم . مزرعة جميلة يملكها الأخوان لومان معا . هذه فكرة بارعة . ولكن إذا كان هابى لا يعرف كيف يجمع المال ، فهو يعرف كيف يغازل النساء ، منذ أن علمه أخوه

بيف كيف يغازل النساء . وهو متخصص فى إغواء نساء رؤسائه ، ولا شك أن روح المنافسة قد اتخذت هذه الصورة عنده .

ويشجع بيف أخاه هابى على التفكير فى شراء المزرعة . إنه يعرف مصدرا يقترض منه عشرة آلاف دولار لهذا الغرض . إنه كان يعمل فى متجر «بيل أوليفر» منذ عشر سنوات ، وكان «بيل أوليفر» صاحب المتجر يحبه حبا عظيما ويقدر كفاءته . ويوم خرج من خدمته أحاط بيل كتفيه بذراعه وقال : «إن احتجت لأى شيء يا بيف فتعال إلى».. إنه سيذهب إلى «بيل أوليفر» ويطلب إليه إقراضه هذا المبلغ لشراء المزرعة . ولكن «بيل أوليفر» كان يعتقد أن بيف سرق صندوقا من كرات (الباسكت بول) من متجره . ولعله الآن قد نسى الموضوع كله بعد فوات عشر سنوات . ولكن «بيل أوليفر» لم يطرده من عمله . وبيف لومان لا يعرف ما خطبه . فى كل مرة ترك فيها عمله كان يخرج بعد أن يسرق شيئا ، شيئا عديم القيمة ، شيئا لا يستحق السرقة ، وكان أحيانا يضبط ويطرد ، وأحيانا يختفى من تلقاء نفسه !

كل هذا والأب ويلى لومان مسترسل فى هذيانه . إنه لا يتوه فى الذكريات كما يفعل غيره ، بل يستحضر الماضى البعيد ، ويعيش فيه كأنه يحياه فعلا كلما حلت به نوبة من هذه النوبات ، فإذا به يرى الناس والأشياء رؤية العين ، ويحدثهم ويسمع كلامهم كأنهم ماثلون أمامه فعلا :

ها هما بيف وهابى يدخلان عليه وهما فى سن الدراسة الثانوية ، ويملأ ويلى لومان عينيه إعجابا بولده بيف الذى سيبرز فى مباراة الكرة السنوية . وويلى لومان يداعب الفتى بيف قائلا انه لا ينبغى له أن يأخذ البنات مأخذ الجد ، فهو مازال صغيرا ، وعلى كل حال لا ينبغى أن يعد احداهن بشيء لأن البنات يصدقن وعود الشبان . إن البنات يلتففن حول بيف الوسيم ويشترين له الجلاس والشوكولاته . فليلعب بيف ما أحب أن

يلعب ، ولكن حذار أن يعد بنتا بشيء؟! إن المستقبل أمامه عظيم ، والجامعات ستتخاطفه حين يحصل على البكالوريا . وويلى لومان نفسه أصبح رجلا صاحب نفوذ ، فهو يستطيع أن يقابل عمدة (بوسطون) ووجهاء القوم . . وهم يحبونه . ما أكثر أصدقاءه ! ما أكثر أصدقاء القومسيونجي ! وبفضل أصدقائه ومحبيه سيساعد ويلى لومان ولديه على شق طريقهما فى الحياة على أحسن وجه ! ويدخل الفتى «برنارد» ابن جاره تشارلى . وهو زميل بيف فى المدرسة . ويطلب من بيف أن يكف عن التدريب على الكرة . وأن يمضى معه لمذاكرة الدروس ، فالامتحان قريب . ثم إن مستر «بيرنياوم» مدرس الرياضة يقول ان بيف سيرسب فى الرياضة إذا لم يذاكر المقرر . وهو لن يعطيه نمرة واحدة فوق ما يستحق . . وهذا إنذار أخير . واذا لم يحصل بيف على البكالوريا فلن تقبله جامعة فرجينيا . وإن كانت قد عرضت عليه منحة دراسية لتفوقه فى كرة القدم ، ثم ينصرف برنارد قائلا انه سينتظر بيف فى غرفته للمذاكرة .

ويدافع ويلى لومان عن ولده بيف قائلا أن برنارد فتى هزيل الجسم يلبس نظارات ، امارات «الأنيميا» بادية عليه . وهو لهذا يغار من بيف وتفوقه فى كرة القدم ! . . ولكن برنارد مخطىء ، فالدروس ليست كل شيء ، وأهم من الدروس أن يكون الفتى صاحب شخصية قوية جذابة ، ومظهر جميل ، وموضعا لحب الناس . وسيرى برنارد وكل الفتيان الذين يكدون أبصارهم وأجسامهم بالدراسة أن بيف سيسبقهم فى معترك الحياة !

وتتمثل له ليندا ـ وهى بعد فى شبابها الناضج ـ تحمل سبت الغسيل ، فيأخذ بيف وهابى منها السبت ويخرجان بالغسيل لنشره . وتجلس ليندا ليحدثها «ويلى» عن ثمرة رحلته إلى (بوسطون) فى ذلك الأسبوع . فيقول متفاخرا أنه باع نحو خمسمائة «قاروسة» فى (بروفيدانس) وسبعمائة فى (بوسطون) . وتبتهج ليندا وتحسب عمولته بالقلم والورقة فتجد أنه كسب فى أسبوع واحد مائتى دولار . . ولكن ويلى لومان لا يلبث أن يتواضع فى الرقم فيقول أنه لم يبع فى الرحلة كلها إلا مائتى قاروسة ، فربحه منها نحو سبعين دولارا فقط .

ويوزع الزوج ربح الأسبوع على الديون . فقسط الثلاج الكهربائية ١٦ دولارا ، وقسط الغسالة الكهربائية ١٠ دولارات ، وقسط المكنسة الكهربائية ٤ دولارات ، واصلاح السيارة ٤ دولارات . المهم أن مجموع الديون المستحقة بعد ٤ أيام يبلغ ١٢٠ دولارا .

ويغتم ويلى لومان لقلة مكسبه ، رغم أنه يعمل اثنتى عشرة ساعة يوميا ، ولكن زوجته تعزيه باسمة وهي تقول : «إن الأسبوع المقبل سيكون أحسن من هذا الأسبوع» . وتجلس ليندا وتخرج من مريلتها جوربها وتبدأ فى رتقه ، ويعود ويلى إلى شكواه . إن الناس لا يلتفتون إليه . إنه يعلم السبب إنه ثرثار مهذار . وجاره تشارلى رجل ناجح لأنه قليل الكلام فالناس تحترمه . إنه يعرف السبب . إن ملبسه خال من الأناقة . وتهدئه ليندا قائلة فى حب عميق انه أعظم الرجال أناقة فى نظرها .

وكأنما فتحت هذه العبارة طاقة فى عقل ويلى لومان . فإذا بليندا الجالسة أمامه تختفى فى ظلام غريب ، واذا به يسمع ضحكات امرأة ، ولكنه يستمر فى مخاطبة ليندا قائلا أنه يغبنها كثيرا ، ولكنه يتمنى أن يعوضها عن هذا الغبن ... وهذا هو يسمع ضحكات المرأة الممتلئة . ويسمعها تقول له ــ وهى تتطلع إلى وجهها فى المرآة ــ إن الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل . ولابد له من الانصراف ، وموعدهما إذن بعد أسبوعين عند عودته إلى (بوسطون) . وهى تشكره على الجوارب الحريرية التى أهداها إليها . إنها تتمتع معه بأطيب الأوقات فهو رجل مهذار مسل ، وهى تحب الضحك . ثم تنصرف المرأة ، وتمثل أمامه زوجته ليندا من جديد ــ وهى ترتق جوربها الحريرى ــ وتقول أنه أعظم الرجال أناقة فى نظرها . وتضيف فى رفق أنه لم يغبنها قط .

ويتنبه ويلى لومان فى أحلامه إلى أن ليندا ترتق جوربها ، فيغضب ويعنفها طالبا إليها أن تكف عن ذلك ، وأن تقذف بالجوارب القديمة كلها فى الشارع ، فهو لا يقبل نظرياتها فى الإدخار .

ويتنزل هابى فى بيجامته ــ هابى الرجل لا هابى الغلام ــ ويراه أبوه فى رجولته

الكاملة ، فيفيق من أحلامه البعيدة ويعود إلى واقع الحياة . ويسأل هاپى أباه عن سبب عودته الباكرة ، فيروى له ما اعتراه من نوبات فى الطريق . ويتأمل ويلى لومان ما آلت إليه حاله ، فهو نموذج للفشل فى الحياة : شيخ تجاوز الستين انهارت صحته وأعصابه من كثرة العمل ، وهو رغم ذلك مضطر إلى الاستمرار فى العمل ليكسب قوته اليومى .

ويلوم ويلى لومان نفسه على أنه لم يستمع إلى نصح أخيه الأكبر «بن» ويذهب إلى (ألاسكا) مغامرا وراء المال . نعم ، إن أخاه «بن» مثل للرجل الناجح فى الحياة . إن فى الحياة لغزا لا يفهمه ويلى لومان . إن أخاه «بن» عرف ما يريده فى الحياة وخرج وراءه فكان له ما أراد . إن الحياة غابة وأخوه «بن» دخلها وهو فى السابعة عشرة من عمره ، ثم خرج من الغابة ـ وهو فى الحادية والعشرين ـ ثريا ثراء قارون . فليعلم هاپى إذن أن الحياة صدفة فيها لؤلؤة ، ولكن الصدفة لا تكسر على وسادة ناعمة . فليتعلم هاپى هذا الدرس من عمه !

ويأتى جارهم «تشارلى» والد «برنارد» بعد أن سمع الضوضاء فى بيت ويلى لومان .. يأتى مستفسرا عن سبب عودة ويلى . وحين يعلم ما أصابه فى الطريق ، يعرض على ويلى لومان وظيفة عنده تمكنه من البقاء فى نيويورك ، وتجنبه السفر المتواصل . ولكن كبرياء ويلى لومان تجعله يرفض هذا العرض فى غلظة ، فكيف يشتغل موظفا عند جاره ؟!

ويشعر ويلى لومان بالذلة ، فيتوه فى بحار الذكريات وهو يحدث جاره تشارلى ويتمثل أمامه شخص أخيه «بن» حاملا شمسيته وهو يحادثه ، قائلا انه لو كان قد خرج معه إلى (ألاسكا) لما انتهى إلى هذه الحال . ويروى له كيف أنه خرج وراء حظه وهو غلام إلى (ألاسكا) ، ولكن معرفته بالجغرافيا كانت ضئيلة ، وبدلا من أن يبحر شمالا أبحر جنوبا فوجد نفسه فى إفريقيا ، وهناك وجد مناجم الماس !

وفى هذيانه يرى ويلى لومان ولديه بيف وهابى ـ وهما بعد فى شرخ الفتوة ـ ويعرفهما بعمهما الذي دخل الحياة وهو فى السابعة عشرة خاوي الوفاض ، وخرج منها فى الحادية والعشرين وهو يملك الكنوز . ويقول ويلى لومان متهللا ان المعجزات لاتزال تحدث فى الحياة ، وما على ولديه إلا اتخاذ عمهما مثلهما الأعلى فى الحياة . إنه يربيهما على الرياضة والخشونة ليكونا فى قوة عمهما . ويقول العم «بن» للفتى «بيف» : «هيا . جرب أن تلاكمني . هذه بطني . اضرب بأقصى قوة !».. ويعتذر بيف فى خجل قائلا أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك . ولكن أباه يأمره أن يفعل ذلك . ويتأهب بيف للملاكمة . ولكن سرعان ما يجد نفسه طريحا على الأرض بعد أن قلبه عمه «بن» ، ويرى عمه «بن» يسدد شمسيته إلى عينيه قائلا : «هذا درس لك يا بنى . لا تكن رياضيا أبدا مع الغريب ، وإلا لما خرجت قط من غابة الحياة» ، ثم ينظر إلى ساعته ويقول بلهجة مهذبة وهو ينحنى : «والآن وداعا ! فلابد أن أرحل ! كان شرفا عظيما ومتعة عظيمة أن أزوركم . إنى مسافر لإتمام صفقة ، وسأزوركم مرة أخرى فى طريق عودتى إلى إفريقيا».. ثم ينصرف .

وينهض ويلى لومان كأنه يبحث عن شىء ، ثم يقول انه خارج لنزهة صغيرة . وترتاع ليندا لأن زوجها يهم بالخروج وهو يلبس شبشبه ويهمهم : «ان بن على صواب . ان بن على صواب !».. وتذكره ليندا بأنه يلبس شبشبه . وينزل بيف فى بيجامته ليرى أباه على هذا الحال من الذهول وهو يكلم نفسه . ويسأل بيف أمه فى إنزعاج إن كان أبوه دائما على هذه الحالة ، فتجيبه بأن حالته تشتد سوءا كلما عاد بيف إلى البيت . وكلما تلقى خطابا بمجيئه يتهلل أبوه فرحا ويشرق وجهه طول الوقت . ولكن عندما يقترب وقت مجيئه يشتد اضطرابه ، فلما يصل بيف يبدأ أبوه فى المشاحنة والشجار معه كأنه لا يطيق رؤيته !

وتسأل ليندا ولدها بيف عن سر هذه البغضاء التى تستولى عليه وعلى أبيه كلما

التقيا . فيروغ بيف من الإجابة ، ويقول ان أباه مجنون . وتغضب ليندا قائلة ان بعض الناس يظنون أنه فقد توازنه العقلي ، ولكنه متعب لا أكثر ولا أقل . إن ويلى لومان رجل متعب . إنه ليس رجلا عظيما ، واسمه لا ينشر فى الصحف ، وهو لم يكسب مالا كثيرا ، وهى لا تدعى أنه أبدع خلق الله ، ولكنه إنسان . إن شيئا فظيعا يحل به ، وهو بحاجة إلى رعاية فى شيخوخته . إن ولديه هلفوتان لا نفع فيهما : هابى يجرى وراء البنات ، وبيف يهاجر كالطير ويعود كل سنة مع الربيع ، وهو لا يظهر الحب أو الاحترام الكافى لأبيه . إن ويلى لومان بحاجة إلى رعاية . نعم ، لابد من رعايته . إن غيبة بيف تكسر قلبه ، ويجب أن يقيم بيف مع أبيه فى نيويورك ويرعاه ، ولكن فليعلم بيف أنه لا مكان له فى البيت إذا لم يظهر الحب والاحترام الواجبين لأبيه .

إن ويلى لومان يقترض كل أسبوع خمسين دولارا من جاره تشارلى ، ويدعى لزوجته أنها مرتبه ، وهى تعلم أن رئيسه الجديد «هوارد» حرمه من مرتبه ولم يعد يعطيه إلا العمولة . إن بيف لا يعرف ما يفعله أبوه . إن كل الناس تظن أن حوادثه الكثيرة نتيجة لاضطرابه ، ولكنها تعلم أنه يحاول الانتحار . ويوم دخل بسيارته فى درابزين الكوبرى الصغير وسقط فى الترعة ، لم ينقذه إلا ضحولة الماء ، وقد أثبت الشهود أنه كان يسوق بمنتهى البطء وأن سيارته لم تنزلق . إنها اكتشفت أنه ركب أنبوبة من المطاط على صنبور الغاز فهو يفكر فى الانتحار . إنها خجلى لا تعرف كيف تواجهه بهذا . وفى كل يوم ما أن يخرج زوجها إلى عمله حتى تنزع أنبوبة المطاط ، ثم تعيدها إلى مكانها حين يعود ، حتى لا يحس بأنها تراقبه أو بأنها تشك فى شيء !

وتنهمر دموع ليندا غزارا وهى تقول كل ذلك ، وتكفكف دموعها متظاهرة بالشجاعة . ويحس بيف وهابى بالندم العميق . ويعد بيف أمه بالبقاء الى جوار

أبيه ، والبحث عن عمل فى نيويورك ، وإرضائه بكل وسيلة ممكنة .

ويعود ويلى لومان ليجد بيف وهابى فى انتظاره ليعلنا له الخبر الخطير ، وهو أن بيف قرر البقاء فى نيويورك . ويتشاجر بيف وأبوه أولا ثم يتصافيان . ويعلن بيف أباه أنه ذاهب فى الصباح الى صديقه ورئيسه القديم «بيل أوليفر» ليقترض منه عشرة آلاف دولار ، فقد اتفق بيف مع أخيه هابى على افتتاح محل لبيع أدوات الرياضة وإنشاء فريقين للباسكت بول يتباريان فى كل مكان للاعلان عن محلها . وينظر ويلى لومان الى ولده بيف فى اعجاب . ان هذه فكرة تساوى مليون دولار ، ولا شك أن بيل أوليفر سيعجب بالفكرة ويقرضه المال اللازم . ويذهب يزود بيف بالنصائح : يجب أن يكون هادئا حين يزور مكتب بيل أوليفر ، وأن يتسم بالجد والوقار ، وأن يمتنع عن الثرثرة . يجب أن يتمسك بخمسة عشر ألف دولار ولا يقبل قرضا أقل من هذا ، فالفكرة عظيمة ورجال الأعمال لا يخافون من الأرقام . وإذا سقط شيء من مكتب «بيل أوليفر» فلا ينبغى أن ينحنى بيف فهذا عمل الخدم ! !

وتسبح الأسرة كلها فى الأمل الباسم ، وتعود السكينة إلى قلب ويلى لومان ، وتتجدد نفسه بالأمل . وحين يخلد الى فراشه لا تنسى ليندا أن تذكره بأن يقصد فى الغد الى مدير الشركة هوارد ليطالبه بوظيفة فى نيويورك .

ويغمض ويلى لومان عينيه ، وينام نوما قريرا لم يذقه منذ زمان طويل ، فى حين تمتد يد بيف الى ظهر مدفأة الغاز فتقع يده على أنبوبة المطاط ، فينظر اليها بارتياع !

ـ ٣ ـ

وفى الصباح يقصد كل الى وجهته وصدره زاخر بالأمل . يقصد ويلى لومان

إلى مكتب رئيسه هوارد ، ويقصد بيف إلى مكتب رئيسه القديم بيل أوليفر .
ويتواعد الولدان مع أبيهما على الاحتفاء به مساء فى مطعم «فرانك» حيث يتعشى ثلاثتهم عشاء فاخرًا احتفالاً بهذا اليوم السعيد !

ويجد ويلى لومان المدير هوارد فى مكتبه متهللا كالأطفال وقد وضع أمامه آخر اختراع بل معجزة الاختراعات : «الريكوردر» : أو مسجل الصوت ، وأخذ يستمع الى صوته وصوت زوجته ، وابنته وابنه وهو يتلو فى صوت منغم : «الاباما وعاصمتها (مونتجومرى) ، أركانساس وعاصمتها (ليتل روك) ، كاليفورنيا وعاصمتها (ساكرامنتو) الخ ..» ويشرح هوارد لويلى لومان فوائد الجهاز الجديد فى لغو من لغو الصبية ، وأخيرا يتنبه الى انه يخاطب ويلى لومان ، فيسأله عاجبا عن سبب مجيئه وتخلفه عن السفر الى (بوسطون) ؟!

ويدخل ويلى لومان فى الموضوع . انه جاء يطلب وظيفة فى مقر الشركة تعفيه من السفر المتواصل ، فهو قد بدأ يحس بالارهاق . ويجيبه هوارد بأنه يقدر ظروفه ولكنه لا يجد له وظيفة فى نيويورك . ويذكره ويلى لومان بوعده السالف يوم عيد الميلاد ، ويذكر هوارد هذا الوعد ولكنه يتنصل منه . ان مقر الشركة ليس فيه الا ستة يقومون بالبيع ، أما هو فعمله هو عمل القومسيونجى المتنقل من بلد الى بلد .

ويخاطب ويلى لومان فى هوارد انسانيته . ويذكره بأن أباه المرحوم مستر «فاجنر» كان يحبه ويعطف عليه . كان يعمل للشركة أيام كان أبوه يحمله بين ذراعيه ويدلله فى المكتب . نعم ، تلك كانت أياما جميلة . انه يذكر ان المرحوم مستر فاجنر جاءه عند ولادة هوارد ، وسأله عن رأيه فى اسمه . انه لا يطلب الا خمسين دولار فى الأسبوع .

ولا يحرك هذا الكلام عاطفة فى نفس هوارد ، بل يبدأ يتململ فى مكانه . انه يقدر كل هذه الذكريات الجميلة ، ولكن العمل عمل والعواطف عواطف

ولا يلتقى الاثنان . وينفعل ويلى لومان فيندفع فى الكلام ـ و«هوارد» شبه شارد عنه ـ قائلا انه لا ينسى الأيام القديمة حين كانت المهنة فنا شريفا يقوم على التقدير الشخصى ، والتعاون ، والاحترام ، وروح الزمالة ، والاعتراف بالجميل ! أما اليوم فكل شيء غدا آليا لا مكان فيه للتقدير الشخصى ، أو لأى مبدأ من هذه المبادىء الجميلة . ان الناس يتنكر بعضهم لبعض ، وينسون الصداقة والوفاء تحت شعار ان العمل عمل ... انه يرضى بأربعين دولارا فى الأسبوع !

ولكن هوارد لا يلين . ويذكر ويلى لومان هوارد وهو ثائر بوعود أبيه ، وبتفانيه فى خدمة الشركة ، ولكن هوارد يوليه ظهره قائلا ان لديه أعمالا كثيرة . وحين لا يفيد كلام ، يرضخ ويلى لومان للأمر الواقع ويقول : «سأسافر اذن الى بوسطون» . فاذا بهوارد يجيبه بأن الشركة بغير حاجة الى سفره ، وأنه بحاجة الى راحة طويلة . وقد أراد منذ مدة أن يبلغه رغبة الشركة فى الاستغناء عن خدماته ، وهذه فرصة مناسبة . وحين يسترد ويلى لومان صحته ، يمكنه أن يمر به ليرى ان كان هناك مجال لاستئناف العمل !

ويسقط فى يد ويلى لومان ، ويقول بصوت مختنق انه بحاجة الى أن يكسب قوته ، فيجيبه هوارد قائلا ان له ولدين يستطيعان أن يعولاه . ثم يتركه وينصرف .

وتظلم الدنيا فى عينى ويلى لومان ، ويتوه فى ذكريات الماضى ، ثم يرتد الى رشده أو بعض رشده ، ويخرج وهو يكلم نفسه ، ونظرات الناس تحدجه فى المصعد .

وفى خروجه يلتقى ويلى لومان ببرنارد ابن جاره تشارلى ، ويسلم عليه فى ذلة وحرارة معا ، فهو لم يره منذ زمن . ان برنارد زميل ولده بيف فى الدراسة ، تخرج من الجامعة وأصبح محاميا ناجحا . ان ويلى لومان لا يفهم . لابد أن فى الأمر سرا . كل الناس ناجحون إلا هو وولديه . ويسأل ويلى لومان برنارد فى ذهول :

«ما السر؟.. أجبنى.» ويعجب برنارد لهذا السؤال الغريب ويسأله : «أى سر؟».. فيقول ويلى لومان : «كيف نجحت؟ وكيف فشل بيف؟» ان برنارد كان زميل بيف حتى البكالوريا . ان حياة بيف توقفت عند البكالوريا !

ولا يجد برنارد ما يقوله الا أن بيف لم يعد نفسه لأى عمل فى الحياة . ويكذب ويلى هذا قائلا ان بيف درس هندسة الراديو والتلفزيون وأشياء كثيرة بالمراسلة . ومع ذلك لم يوفق فى شىء .

ويسأله برنارد أن يجيبه بصراحة ؛ أمرا ما حدث لبيف سنة البكالوريا وغير مجرى حياته . فماذا حدث ؟ انه رسب فى الرياضة . وكان يعتزم الاستعداد للملحق أثناء الصيف . ولكنه لم يفعل . ولو أنه فعل لحصل على البكالوريا ودخل الجامعة . وسارت كل أموره سيرها الطبيعى . فهل أبوه هو الذى أشار عليه بعدم دخول الفصول الصيفية ؟

ان ويلى لومان لم يشر على ابنه بشىء من هذا ، بل على العكس من ذلك أمره بدخول المدرسة الصيفية ، ولكن بيف لم يدخل . فلماذا لم يدخل بيف المدرسة ؟ هذا هو السؤال الذى لاحق ويلى لومان نفسه خمس عشرة سنة دون أن يعرف له جوابا . انه سقط فى مادة الرياضة . ثم سقط بعدها كميت هوت عليه مطرقة ولم ينهض بعدها من كبوته !.. ومع ذلك فبرنارد يقول ان رسوب بيف لم يكن له أى أثر فى معنوياته ، فقد كان على أتم استعداد لدخول المدرسة . وسافر الى بوسطون ليقابل أباه . ولكنه بعد عودته من بوسطون كان شخصا آخر !

ـ ٤ ـ

ويأتى تشارلى والد برنارد فيطلب اليه ويلى لومان أن يقرضه مائة دولار ، فأمامه قسط التأمين ، وأمامه آخر قسط من أقساط البيت يدفعه فيصبح البيت

ملكه ، بعد خمس وعشرين سنة ! ويجدد عليه تشارلى عرضه السابق ان يعمل ويلى لحسابه مقابل خمسين دولارا أسبوعيا . ولكن ويلى لومان يرفض رفضا باتا ، متظاهرا بأنه لا يبحث عن عمل . ويرثى تشارلى لهذه الأزمة النفسية التى يعانيها جاره ويلى لومان ، فيعطيه ما طلب . وتنهار أعصاب ويلى لومان فيروى لتشارلى ان هوارد فصله رغم ما كان بينه وبين أبيه من ود قديم ، فيجيبه تشارلى بأنه ينبغى أن يستيقظ من أحلامه ، فليس للمرء فى هذه الحياة إلا ما يستطيع أن يبيعه . ان ويلى يتحدث عن الحب بين الرجال ، فمن الذى يحب المليونير «مورجان» ؟ ومن ذا الذى يؤخذ بشخصيته ؟ ان مورجان لو دخل حماما تركيا لما كان هناك أى فرق بينه وبين أى جزار فى أمريكا !

وفى مطعم فرانك يعد هابى العدة للعشاء الكبير ، وفى المطعم تصخب الموسيقى الراقصة ، ويعد الجرسون «ستانلى» المائدة ، ويجهز أكواب الشمبانيا للاحتفال . وفيما ينتظر هابى أخاه بيف وأباه ، يلمح غانية جميلة ، ويغازلها . وبعد دقيقة يتقارعان الكئوس . ويصل بيف الى المطعم ، وينضم اليهما ، ويطلب هابى من الغانية أن تدعو صديقة لها ترافق أخاه بيف ، فتمضى الى التليفون .

ويروى بيف لهابى ما كان من أمره مع بيل أوليفر . انه انتظر خارج مكتبه ست ساعات ولم يستطع أن يقابله . وحين خرج بيل أوليفر من مكتبه جرى خلفه فوجده لا يذكر شيئا عنه ، فلما ذكره بنفسه رمقه بنظرة احتقار قائلا : «أنت لم تكن بائعا فى محلى . انت كنت كاتب شحن» ثم انصرف ومن بعده سكرتيرته ووجد بيف نفسه وحيدا ، فدخل مكتب بيل أوليفر وسرق قلمه الابنوس الفاخر بلا وعى .. ثم انطلق كالمجنون !

ان حلمه وحلم ابيه قد تبددا . ترى كيف يواجه أباه بالحقيقة ؟ ان أباه بحاجة الى خبر سعيد يرفع معنوياته . محال أن يستمر هذا الحال . ان آل لومان كلهم يعيشون على الأوهام ، ولابد أن تتبدد الأوهام ويجابهوا الحقيقة !

ويصل ويلى لومان إلى المطعم . وحين يعرف بحقيقة ما كان بين بيف وبيل أوليفر ينقض عليه الخبر كالصاعقة . إن الغابات تحترق من حوله ، وهو الآن محاصر بين النيران . إنه فصل من عمله . وهذا بيف يجيئه بالخبر المشئوم !

وتجمع السحب فى عقل ويلى لومان من جديد ، ويرجع إلى الماضى البعيد ، عام رسب بيف فى البكالوريا ، فسافر إلى بوسطون ليبلغ أباه برسوبه ، وليطلب إليه أن يتوسط عند المدرس «بيرنباوم» ليعطيه ثلاث درجات فى الرياضة فينجح .

ويتمثل ويلى لومان نفسه فى بوسطون .. فى الفندق الذى تعود أن ينزل فيه .. والساعة الثانية صباحًا . وباب حجرته يدق . والمرأة الممتلئة إلى جواره فى الفراش تقول : «إنهض وانظر من الطارق» .. فينهض ، وتختفى المرأة فى الحمام . ويفتح ويلى لومان الباب فإذا به أمام بيف .. ويدخل بيف ويبدأ فى الحديث عن الامتحان . وتضحك المرأة المختبئة فى الحمام ، ثم تدخل على ويلى لومان وبيف عارية لا يسترها إلا سروال أسود ! ويصعق بيف ! .. ويحاول ويلى لومان أن يفهمه ـ والعرق يتصبب من وجهه ـ أنها مجرد جارة له فى الفندق ، لجأت إلى غرفته حتى يتم طلاء غرفتها . وتنهمر الدموع من عينى بيف ، وينظر إلى أبيه فى احتقار شديد ثم ينفجر فيه قائلاً : «لا تمسنى أيها الكذاب .. أنت رجل مزيف» .. ثم ينطلق خارجًا ، ويترك أباه راكعًا على الأرض يضربها بقبضته .

ويسقط ويلى لومان على أرض المطعم ، ويفيق من بحرانه . ويساعده الجرسون ستانلى على النهوض . ويبحث عن ولديه فلا يجدهما . ويعلم أنهما غادرا المطعم مع الفتاتين حين رأياه يكلم نفسه ويهذى بعبارات غير مفهومة ، وقد أنكرا أمامهما ، كل صلة به !

ويساعده الجرسون ستانلى على اصلاح هيئته ، ويرفض رفضا تاما أن يقبل منه أى بقشيش . ويعود ويلى لومان إلى بيته . وفى طريقه يمر بدكان يبيع البذور . كان حلمًا من أحلام حياته أن يزرع البنجر والجزر فى الفناء الخلفى الصغير الواقع

وراء بيته . وفى البيت تعنف ليندا ولديها على تركهما أباهما فى المطعم . وينكر بيف وهابي إنه كان فى خطر ، ويزعمان انهم كانوا جميعا على أحسن حال مع فتاتين صديقتين . وتنهال عليهما أمهما بالشتائم وتطردهما من البيت . انهما فى مصاف الحيوان . لقد كان فى امكانهما أن يؤجلا صحبة البغايا إلى يوم آخر !

وترقب ليندا زوجها وهو فى الفناء الخلفى يقلب الأرض ويدفن البذور ، لكنه فى بحران . انه يكلم نفسه ويكلم أخاه «بن» قائلا : «اسمع لهذا المشروع يا «بن» ، وقل لى رأيك ، انه مشروع عظيم .. عشرون ألف دولار مضمونة مائة فى المائة .. انها قاست كثيرا يا بن .. أتفهم ما أقول؟ ان زوجتى قاست كثيرا» ..

ويسمع ويلى لومان أخاه بن يسأله : «هل أنت واثق من أن شركة التأمين ستدفع البوليصة ؟» فيجيبه ويلى لومان : «نعم . دون أدنى شك . كل قسط من أقساطها مدفوع» .. ويقول بن : «سيقولون أنك جبان» .. فيجيب ويلى لومان : «وأى شجاعة فى أن أستمر فى حياة لا قيمة لها؟»

ويقتنع بن ويقول : «هذا مشروع عظيم . تأكد فقط انهم سيدفعون بوليصة التأمين .»

وترتاح نفس ويلى لومان لأن أخاه بن قال انه راض عن مشروعه الكبير . ويرى فى حلك الليل عشرين ألف دولار ، وكأنها ماسة كبيرة ، تلمع فى الظلام !.. ويرى الماسة فى يد زوجته !

ويكون سكون .. وتسمع ليندا وبيف وهابي موتور السيارة يخفق ثم ينطلق .

وهكذا تكون نهاية القومسيونجي

وبعد قليل تجتمع أسرته حول قبره .. ثم ينصرف بيف وهابي ، ويتركان أمهما المتشحة بالسواد راكعة عند قبره .. وفى يدها باقة من الأزهار !!

محتويات الكتاب

رقم الإيداع	١٩٨٤ / ٤٩٥٥

٢/٨٤/٥٤٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

مختارات كتابى

تقدم لك قريبا بين دفتي كتاب
واحد كل هذه الملخصات
لكنوز الكتب الخالدة

الجمهورية لأفلاطون
السياسة لأرسطو
المدينة الفاضلة للفارابى
يوتوبيا لتوماس مور
الأمير لمكيافللى
نظرية التطور وأصل الانسان لداروين
العقد الاجتماعى لروسو
الالياذة والاوديسة لهوميروس
وغيرها ..

مطبوعات كتابى

التى قدمت لك كتاب (لكل فنان قصة) والكتب الأخرى من سلسلة « الأدب المحلى » تقدم لك قريبا فتحا جديدا فى عالم النشر وفى مجال الأدب المسرحى

النص الكامل للتراث الكامل للفنان خالد الذكر

نجيب الريحانى

تقرأ فى هذه السلسلة الجديدة من مطبوعات كتابى أشهر روايات الريحانى التى شاهدتها وصفقت لها

النص الكامل لحوار كل مسرحية فى كتاب كامل مستقل

الدلوعة — لو كنت حليوة

إلا خمسة — حكم قراقوش

أحب حماتى — ٣٠ يوم فى السجن

وغيرها ..

ترقب

فى الجزء الثانى من « روائع المسرح العالمى » - إحدى سلاسل « مختارات كتابى » - والاجزاء التى تليه ، كل هذه المسرحيات العالمية الخالدة :

رجل الأقدار (برنارد شو) خطايا الحب (أوسكار وايلد) عذراء الغابة (تاغور) الحب الآثم ، أو سلطان الظلام (تولستوى) سيرانو دى برجراك (ادمون روستان) مروحة الليدى وندرمير (أوسكار وايلد) حلاق اشبيليه (بومارشيه) فوليون ، الثعلب (بن جونسون) البطل ، لوسيد (كورنى) برهان الحب (جان أنوى) مدرسة الأرامل (جان كوكتو) جيوكندا (دانونزيو) الجنس الآلى روبوت (كاريل تشابيك) ٦ شخصيات تبحث عن مؤلف (بيراندللو) الأم (جوركى) بلياس وميليزاند (مترلنك) هيدا جابلر (إبسن) ريجوليتو (هوجو) مدرسة الفضائح (شيريدان) حلم ليلة صيف ، الليلة الثانية عشرة (شكسبير) هرنانى (هوجو) لعبة الحب والموت (رومان رولان) العدالة ، الابن الاكبر (جالزور ذى) هوراس (كورنى) جوديث (جيرودو) سالومى ، زوج مثالى (أوسكار وايلد) بيجماليون (برنارد شو) الشقيقات الثلاث (تشيكوف) الجحيم هو الناس (سارتر) عربة اسمها الرغبة (تنيسى ويليامز) .

مطبوعات كتابى

قــريبـــا

الجــزء الأول

للترجمة الكاملة الأمـينة

أعظم ملاحـم الأدب الروسـى
التى كتبـها أديب روسـيا الخـالد

ليـو تولستوى

الحـرب والسـلام

WAR AND PEACE

الكتاب القادم ..

مطبوعات كتابى

التى قدمت لك فى الكتاب السابق (لكل فنان قصة)
باكورة أعدادها من الأدب المحلى
« غير المترجم »

تقدم لك قريبًا :

الكتاب الثانى من سلسلة الأدب المحلى :

عندما تحب المرأة

مجموعة قصص مصرية بقلم
حلمى مراد

يليها فى كتاب تال :

عندما تخون المرأة

مجموعة قصص مصرية لنفس القلم

روائع المسرح العالمى

اقرأ فى هذا العدد

- أوديب الملك :

سوفوكل

- سلاح المرأة (ليسستراتا) :

اريستوفان

- ترويض النمرة :

شكسبير

- المنافق (ترتوف) :

موليير

- فاوست :

جوتـــه

- وليم تل :

شيللر

- نزاهة الحكم (المفتش العام)

جوجول

- يوميات محتال :

اوستروفسكى

- سوء تفاهم (المجهول) :

البير كامى

- موت قومسيونجى :

ارثر ميللر